طه حسين في ثورة يوليو

صعود المثقف وسقوطه

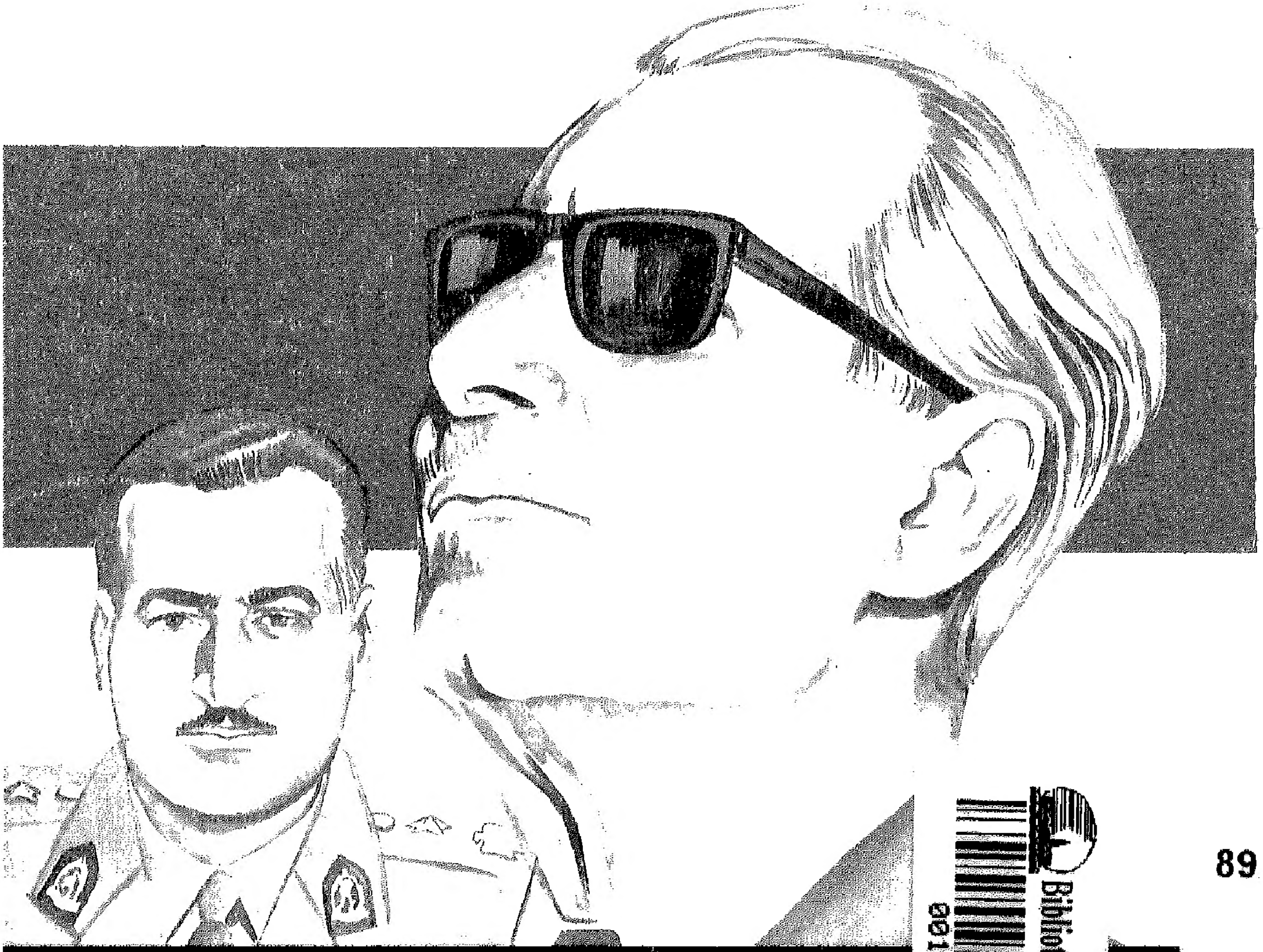

89

Bibliotheca Alexandrina
0018478

دكتور مصطفى عبد الغني

مكتبة التراث الإسلامي

طه حسين في ثورة يوليو

صعود المثقف وسقوطه

دكتور مصطفى عبد الغني

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية - عابدين ت ٣٩١١٣٩٧٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة
للناشر

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تُعد ، هذه المحاولة ، استكمالا لجهود سابقة كثيرة لفهم موقف طه حسين من ثورة يوليو ١٩٥٢ .

ولا يعنى أن التركيز على طه حسين فى دراسة مستقلة هو التركيز على شخص بعينه (وان كانت هذه الشخصية تغرى كثيراً بتناولها) ، إذ يعد الاهتمام بها من قبيل تمثل (النموذج) الدلالى الذى يمكن معه ، وفى ضوء رموز علمية كثيرة ، فهم قانون يفسر الكثير من مواقف المثقفين الآخرين إزاء السلطة .

غير أنه مع طه حسين ، بوجه خاص ، يتحدد موقفى ويتأكد فى الإحساس بالود الشديد الذى أحسست به تجاه هذه الشخصية العنيدة قبل أن يذهب صاحبها إلى السوربون عام ١٩١٤ وبعد أن يعود إلى مصر عام ١٩١٩ ليشارك فى هذه الثورة ، ثم مشاركاته الصلبه الصلدة فى كافة مناحى الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية .

ورغم أن حياة طه حسين بعد ثورة ١٩٥٢ تخلو من الممارسة السياسية التى أبدى فيها كثيراً من التمرد ، فإن حياته ، بعد هذه الثورة ، تغلو فى الاستجابة المباشرة للنظام ، وإن كانت تتميز بصور للعلاقة بين المثقف وثورة يوليو فى صورة المثقف المهادن، المتهاون .

وثمّه استطراد هنا لابد منه :

إن موقفى من طه حسين هو موقف الودّ الشديد

أبرر لطه حسين تهادنه أو تهاونه إزاء سلطة الثورة ، غير أننى كنت أعود ، كل مرة ، واجماً حزيناً .

إن طه حسين الذى عرفته فى الفترة الليبرالية ليس هو الذى عرفته فى الفترة الناصرية .

وبعد إن كان ذئباً تتحاشاه الأغنام ، تحول حملا تتخطاه الإبل .

وفى جميع الحالات ، لم أستطع لفترة تزيد على عشر سنوات أن أستمر فى أن أبرر لطه حسين استجاباته ازاء النظام فى الخمسينات والستينات .

وكما لايصح أن نصدق دعوى توفيق الحكيم من حالة (فقدان الوعى)، كذلك ، لايجب أن نصدق أن طه حسين – سواء قال هذا أو قاله غيره – عانى من حالة فقدان الوعى هذه .

إنه ارتداد من موقف التمرد إلى موقف المؤيد ، فالمهادن ، وهو موقف لم ينج منه أحد قط من التيار الليبرالى الذى كان ينتمى إليه طه حسين اللهم إلا أفراد قلائل يمكن أن يعدوا على أصابع اليد الواحدة ولهذا ، لم أنس أن أرصد لطه حسين موقفه المتمرد قبل ثورة ١٩٥٢ ، ثم موقفه المهادن للثورة بعد قيامها .

بقى أن أشير إلى بعض المؤثرات فى موقفى وفى مقدمتها هذه السنوات الطويلة فى ضوء البحث والتحرى والمناقشة ، ففى هذه السنوات التى قضيتها أبحث عن تفسير لسقوط طه حسين بعد ثورة يوليو عثرت على عدة ملفات عنه فى دار الوثائق المصرية تحت رقم (٦٤٤) ، ولما عدت إليها بعد عدة أشهر إكتشفت ضياعها ، وحمدت الله أننى كنت قد نقلتها (طبق الأصل) حينئذ ، كذلك ، فإن حواراتى المستمرة أفادتنى كثيراً ، وخاصة مع كل من حسن يوسف رئيس الديوان الملكى بالنيابة ، وأحمد سعيد المسئول عن موجه

(صوت العرب) فى الفترة الناصرية ، وبيير كاكيا أحد أصدقاء طه حسين وأحد تلامذته فى الأربعينات ، وعبد الرحمن الشرقاوى ... وغيرهم ، كذلك ، استفدت كثيراً بطرح الموضوع فى سمنار كلية البنات – جامعة عين شمس – فى شتاء ١٩٨٩ ، أيضاً ، من هذه المناقشات التى أفدت منها أثناء مناقشة لرسالتي لنيل الدكتوراه حول المثقفين ، فطه حسين مازال يثير ، شأن كل مثقف كبير ، كثيراً من الجدل

بقى أن أشير إلى بعض المراجع التى استفدت منها ، إذ سعيت هنا إلى ترتيب بعض المراجع فى نهاية كل قسم ، وإعطاء كل واحد فيها رقماً ، وعند الكتابة أشرت إلى الرقم برقمين ، أحدهما ، رقم الصفحة ، والآخر ، رقم المرجع للطبعة المذكورة .

وهى طريقة آثرت اللجوء إليها لتسهيل القراءة ، وتيسيراً للفهم .

فأرجو أن أكون قد وفقت فيما سعيت إليه .

د . مصطفى عبد الغنى

يونيو ١٩٨٩

أولاً

طــه حســـين

طه حسين متمرداً !!

لاشك أن صفة التمرد أهم الصفات التى يمكن أن نفسر بها طبيعة طه حسين .

فإذا قلنا : طه حسين ، لذكرنا ، على الفور ، الثورة والتمرد

بل هى الصفة التى يجمع نقاده وكتابه جميعاً على أنها تقبع وراء ردود أفعاله إزاء العالم الخارجى .

وحين أراد جاك برك أن يفسر شخصية طه حسين فى دراسته الهامة حول رواية (ماوراء النهر) فإنه ، رأى أن هذه الصفة – التمرد – هى أهم مادفع بصاحب العاهة (١٧/١)، ليتحدى العالم كله ، فخرج من قمقم الذات المغلق إلى آفاق الحياة الرحبة .

وطه حسين نفسه لايرى وراء شخصيته العنيدة ، المندفعة ، غير صفة التمرد ، فهذه الصفة هى التى دفعت به إلى اقتحام الصعب ، وليجد نفسه – على حد قوله – يخاصم السياسة (٤٢/٢) .

إذن ، فهذا أول تفسير لموقف طه حسين السياسى ازاء الكثير من رموز السلطة فى عصره (سواء أكانت سلطة اجتماعية أو فكرية أو سياسية)، وهى هذه الصفة التى قدر لها أن تكون وراء سعى « بروميثيوس » الدائم إلى سرقة النار من أجل الآخرين ، وكثيراً ما تحدث طه حسين عن سارق النار فى كثير من الإعجاب والتقدير حتى يحسبه قارئه أنه سارق النار فى العصر الحديث .

ونستطيع أن نعثر على جذور هذه الصفة ، التى طبعت حياته كلها بطابعها الخاص طيلة النصف الأول من القرن العشرين.. نستطيع العثور عليها

واضحة فى أعماله كلها ، لاسيما سيرته الملحوظة (الأيام)، فهو كثيراً مايردد فيها قصص الغضب والإصرار ، وهو كثيراً مايردد فيها ألفاظاً تأتى بذاتها ، ولا تلبث أن تختفى لتعاود السرد من جديد . ومن هذه الألفاظ العبارة التى يقول فيها من آن لآخر « الفتى لم يكن يعرف رفقا ولا لينا » (١٧٢/٣) ، وهذا يعنى أن طه حسين كان بالفعل إنسانا متمرداً (كثيراً ماردد هذا فى أعماله)، وفارساً صنديداً (كثيراً ماردد هذا عنه أحد أقرانه د. حسين فوزى) .

وهذا يشير إلى شىء بدهى فى مثل شخصية طه حسين ، هو ، أن عناده تمثل فى رفضه « الجبرية » التى حاولت أن تصوغ حياته كلها لهذه الظروف التى وجد نفسه فيها ، وهو ماتنبه إليه الكثيرون فى جيله مثل محمود تيمور الذى راح يشير إليه فى كثير من العجب والإعجاب(٤) .

وقد يكون من المفيد أن نشير إلى بدهية نلتقى بها فى هذا البحث ، هى ، أن موقف طه حسين المتمرد فى الثلاثينات والأربعينات لم يكن غير موقف ينم عن تطور فكرى تمر به بلادنا ، وهو يتمثل فى دواعى التجديد الفكرى الذى دعا إليه كثير من المثقفين حينئذ ، والمعارك السياسية التى آثر أن يكون فارسها المغوار ، وهو مايمكن أن يوافق عليه البعض من ان التجديد الظاهرى فى المشاعر الدينية وفى الحماس الدينى عند الشعوب العربية منذ القرن الماضى ليس غير تعبير عن المشاعر القوية التى تنطلق وتطور فى هذا الوقت (١٩/٥) .

معنى هذا ، أن موقف طه حسين الذى اتسم بالتمرد فى النصف الأول من هذا القرن كان يشير إلى موقف جماعى ، ليس هو موقف الجماهير العربية فى مصر ، وهو مايستوجب منا التأكيد على أن الاقتراب من (النموذج) ليس غير إقتراب من خيوط النسيج القومى فى تحولاته المختلفة ضد القوى المتمثلة فى الحكومات الرجعية (والملك الذى تحالف معها) .

واذن ، نستطيع أن نجد فى تمرد طه حسين موقفاً جماعياً للشعور القومى حين تحدى الاستهتار بالمشاعر العربية فى مصر أو محاولة حجب ضوء الشمس عن الوجدان اليقظ المتأهب للخلاص حينئذ .

فلنعد مرة أخرى (للنموذج) لنتعرف على الدور الذى لعبه طه حسين ، هذا المثقف الليبرالى ذو الميول الوفدية .

وسوف نختار لندلل على هذا عدة صور لنعرف من خلالها ملامح التمرد، فى النصف الأول من هذا القرن ، قبل أن نرتد إلى نقيضها ، فى النصف الثانى منه .

طه حسين وسعد زغلول

نستطيع أن نحدد ملامح الصورة الأولى فى الفترة التى تقع بين عامى ١٩١٩/١٩٢٥ ، ففى هذه الفترة كان طه حسين قد عاد من السوربون بعد بعثته الدراسية (١٩١٩)، وقدر له أن يشارك فى أحداث الثورة ولكن فى الجانب الآخر ، فى معسكر حزب الأحرار الدستوريين ، المعسكر الذى كان قد خرج على حزب الوفد – الأغلبية – إبان الثورة .

وقد أسهمت الصحف من الجانبين فى توسيع الهوة بينهما .

لنقترب أكثر ، من طبيعة الصراع ..

فى هذه الفترة ارتفع صوت المعارضة – حزب الأحرار الدستوريين – عالياً ضد حكومة الأغلبية التى كان يتربع على قمتها زعيم حزب الوفد – سعد زغلول – فى الحكومة التى شكلت بعد الانتخابات الدستورية .

ولأن طه حسين كان أبرز كتاب الحزب المعارض لحكومة سعد زغلول ، لم يتردد ازاء ممارسات الحكومة المتردية فى أن يصوب عشرات السهام إلى حيث يقف الزعيم .

لم يكن طه حسين الآن غير أستاذ فى الجامعة فى وقت كان سعد زغلول فيه فى مقعد رئيس الوزراء .

وقد شهدت هذه الفترة عشرات من مقالات طه حسين النارية العاتبة ضد الوزارة القائمة فى مصر ، وهى وزارة سعد زغلول (٦/٤٤) ، وقد وصل هذا الهجوم إلى قمته عام ١٩٢٤ ، فقد كان هذا العام أكثر الأعوام التى شهدت

تصاعد هجوم طه حسين من حزب الأحرار فى صحف السياسة والاستقلال والأهرام .. إلى غير ذلك .

ونستطيع أن نستعيد فقرة بسيطة من مقالات طه حسين العنيفة لندلل بها على هذا العنف ، ففى مقاله له بعنوان (ويل للحرية من سعد) يقول :

ـ (كان سعد محارباً لأمته فأصبح الآن محارباً للحرية من حيث هى حرية . وأصبح الآن محارباً لكل هذا النصر الحديث .

سعد وكيل الأمة فى كل شئ ـ حتى فى قراءة الصحف . أيتها الأمة المصرية . طيبى نفساً . وقرى عينا . اهدئى واطمئنى ، فقد قيض الله لك رجلاً يريحك فى كل شئ . لا تطالبى بالاستقلال فسعد يطالب به . لا تعشقى الحرية فسعد يعشقها . لا تؤمنى بالله فسعد يؤمن به . ولا تقرئى الصحف فسعد يقرأها)[٧] .

لنذكر (مرة أخرى) أن طه حسين أستاذ الجامعة بينما سعد زغلول رئيس الوزراء ، وزعيم حزب الأغلبية فى هذا الوقت .

وهذا مجرد مثال واحد من أمثلة عديدة ..

وتتوالى كتابات طه حسين ، وتصل إلى أقصاها فى النصف الثانى من عام ١٩٢٤ ، أغلبها بدون توقيع ، وبعضها بتوقيع (ساخط) ، وكلها لاتترك هينة فى شخصية سعد أو فى شخصية أى مسئول فى حكومته إلا وتصيبها ويفيض الكيل ويكون على سعد زغلول أن يطلب – بشكل رسمى – من النائب العام التحقيق مع صاحب هذه المقالات بتهمة أهانة رئيس الوزراء .

ونقترب ، أكثر ، من محضر المحاكمة ..

يفتتح المحضر فى يوم ١٧ يونيو ١٩٢٤ بناء على استدعاء رئيس النيابة ، ويستدعى طه حسين فيوجه إليه إتهام « إهانة حضرة صاحب الدولة » والاتهام موجه بالطبع من سعد زغلول .

ويبدأ المحقق مع طه حسين فيلقى عليه هذا السؤال :

ـ علمت النيابة أنك ممن يكتبون فى جريدة السياسة ، ولك فى تلك الصحيفة مقالات بانشائك وإملائك ، فهل هذا صحيح ؟

ويكون على طه حسين أن يجيب :

ـ لاأجيب .

ولعدة ساعات يلقى المحقق على طه حسين أسئلة عديدة ، ويظل يتوعد المتهم على هذه الاتهامات التى يسميها (جرائم) فيرفض طه حسين الإجابة ، ويعود وكيل النيابة ليناور (فى حالة عدم الإجابة تعتبر من القرائن الكبرى على إجرامك) فلا يزيد طه حسين على القول فى هدوء عجيب وصبر طويل :

– لا أجيب .

ويعود المحقق فى محاولة أخرى فى قراءة عنوانات مقالاته الكثيرة التى نشرت بدون توقيع ليعترف صاحبها بها دون جدوى ، وفى كل مرة لايزيد على أن يقول (لا أجيب)[٩] .

ويستمر النائب العام فى إحراج المتهم ، فيضيف إلى (الجرائم) التى يعاقب عليها القانون بسبب هذه المقالات العنيفة .، ويضيف تهمة أخرى ، هى ، (إهانة الوزارة والحكومة) ليضطرب المتهم ويرهب فلا يجيب .

ويتبع النائب العام أسلوب آخر لعله يظفر من المتهم برد آخر ، فهو يقول أنه يعرف أنه – أى طه حسين – هو كاتب هذه المقالات ، فهو يكتب فى

صحيفة السياسة بشكل مستمر ، كما أن دراسة أسلوب المقالات تؤكد أنه أسلوب المتهم ، والنيابة قد عادت إلى أوراق طه حسين الوظيفية فى وزارة المعارف (وكانت الجماعة تابعة لها) فتأكد لها أن طه حسين طلب بشكل رسمى أن يكتب فى جريدة (السياسة) بوجه خاص فأذن له مجلس إدارة الجامعة الذى قال بشكل رسمى (إن المجلس لايرى الحجر .. وأن من يريد الكتابة فى المسائل السياسية والعلمية فليكتب مايريد)[٨] .

غير أن هذا السهم أيضاً ، يطيش أمام عناد طه حسين وصلابته .. ولأن النيابة تفشل فى تضييق الخناق عليه ، أو انتزاع منه ما يمكن به أن يضع بطه حسين فى موقف حرج ، فلا يجد وكيل النيابة أمامه غير إخلاء سبيله ، ثم يرسل بعد أن يرحل إلى سكرتير الجامعة المصرية ليأخذ عليه إقراراً بعدم الكتابة فى الموضوعات السياسية[٨] .

ويكون هذا الموقف هو نهاية اتهام رئيس الوزراء لأستاذ الجامعة ، الغضب ، فالاتهام ، فالأفراح عنه ثانية ..

طه حسين وإسماعيل صدقى

حاول سعد زغلول اتخاذ عدة إجراءات انتقامية من خصومه فى وزارته التى أطلق عليها (وزارة الشعب)[٩] ، لكنه لم يستطع أن ينال من طه حسين الاعزل ، الذى استطاع مراوغة وكيل النيابة بالاتفاق مع محامية .

لقد استطاع المثقف أن يتحدى السلطة وينال منها .

وإذا كان قد استطاع الفرار من تهمة إهانة رئيس الوزراء فى العشرينات ، فإنه إستطاع - كذلك - الفرار من مثل هذه التهمة فى الثلاثينات ، وان زادت أسلحة المعركة ، واستخدم فيها كثير من الأسلحة غير المشروعة ..

وهو ماحدث فى معركته الثانية مع إسماعيل صدقى .

كان طه حسين فى المرة الأولى أستاذاً للتاريخ القديم بكلية الآداب، أما الآن ، أصبح عميداً لها، ومن هنا، لم يتردد النظام فى محاولة الإفادة منه لتأمين الحكم ، والقضاء على الخصوم ، وهو ماتم حين حاول صدقى استمالته ليكون رئيسا لتحرير صحيفة النظام القائم (الشعب) ، وهى الصحيفة التى كانت تعبر عن فكر صدقى وأحلام القصر ورغباته : (٥٩/١) فرفض .

وبينما رفض طه حسين التعاون مع حكومة مضادة للمد الشعبى ، ومكممة للحريات ، لم يتردد فى أن يواصل هجومه عليها ليل نهار إلى الدرجة التى اهتبل صدقى الفرصة فيها، وسعى إلى خصمه، ليحاول إدانته على بعض تصريحاته للصحف وكتاباته المتواليه فى الهجوم على الوزارة القائمة وعلى رئيسها بعد نقله من الجامعة .

كانت الذريعة التى اتخذها صدقى تتمثل فى مقالتين عنيفتين كتبهما طه حسين ونشرهما بجريدة الجهاد يومى ١٨، ١٩ مارس ١٩٣٢ لاحتوائهما على إهانة محققة .

وقبل أن نشير إلى التحقيقات مع عميد الجامعة ، قد يكون من المفيد أن نشير إلى بعض ماجاء فى تصريحات أو كتابات طه حسين التى دفعت بصدقى إلى اتهامه بتهمة الإهانة ، فثمة حديث[11] ، كان طه حسين قد اتهم فيه بعدم اللباقة فى الرد فيه على رئيس الوزراء ، ثم أضاف إلى هذا تنديده بهجوم أحد الوزراء عليه بشكل حاد « الاعتداء على كرامة أستاذ أقل ما يوصف به أنه أرفع من أن تصيبه همزات الوزير » .

كان الوزير المقصود هو وزير المعارف ، الذى دفع من قبل رئيس الوزراء للهجوم على طه حسين وإهانته لقاء مااقترفه فى التعامل مع صدقى .

وتصل سخرية طه حسين واستهانته بوزير المعارف (دفع به بأمر رئيس الوزراء) إلى درجة أن طه حسين يقول فى أحد مقالاته أنه كان يقهقه لتصريحات هذا الوزير كلما تذكر تصرف هذا الوزير ، وراح يكشف جهراً ماعرض عليه سراً للنيل من المتهم والتحقيق ، ثم راح يفند اتهامات الوزير من أن طه حسين كان يحصل على مصروفات مالية كثيرة باسم ترجمة بعض الأعمال أو الصرف على بعض المؤتمرات ، متحديا أن يكون هناك من يقوم بعمله الكبيرسواء فى حضور المؤتمرات أو ترجمة مايترجم .. وما إلى ذلك .

ولم يشغله الموقف الشخصى عن الموقف العام ، فإنه كثيراً ماندد بهذه الأحزاب أو الجماعات التى تأتلف ضد الشعب ، وحين ذكر حزب (الشعب) تحديداً راح يقول : « إنما هى جماعات تتألف من أفراد لهم مآرب ومنافع يتحقق بعضها من تولى مناصب الحكم ، ويتحقق بعضها الآخر من

الاتصال بالذين يتولون مناصب الحكم » ، ويدلل على هذا من أن حزب (الشعب) هو الذى يعضد ويدعو لرئيس الوزارة « لأن حزب الشعب إنما وجد برئيس الوزراء ، ولم يوجد رئيس الوزراء بحزب الشعب » ، ويخلص من هذا كله إلى أن رئيس الوزراء هو الذى عليه وحده يقع ما يتردى إليه الشعب سواء من الانجليز أو الحكومات الرجعية التى تترى ، وقد ختم مقالته بفقرة لاذعة يقول فيها .

« ماذا أقول؟ لو سار رئيس الوزراء هذه السيرة المألوفة فى البلاد الدستورية لما أقام فى الحكم شهراً » .

هذه عينة من أحاديث طه حسين ومقالاته العنيفة ، وهو مايجب الاسراع عنده بالإشارة إلى أن هذا الموقف من المثقف لم يرتبط بالضرورة بالحزب الذى إنتمى إليه ، وإنما كان لوعى حاد تميز به عن غيره ، فإذا أضيف الوعى إلى العناد ، فإن حاصل الاثنين يكون هذه الشخصية التى يدين لها صاحبها بكل شيء .

كانت هذه الفترة التى فصل فيها صدقى طه حسين ، بل دفع العديد من النواب بمجلس النواب إلى إثارة قضية (الشعر الجاهلى) من جديد ، بعد أن كانت قد طويت صفحتها فى نهاية العشرينات ، وذلك بقصد تأليب الرأى العام ضده وزيادة الضغط عليه فى وقت ، كان وعى طه حسين يدفع به إلى الانتقال من حزب الأحرار الدستوريين إلى حزب الوفد .

وهنا نعود ثانية إلى التحقيق الذى فتح بناء على طلب وزير المعارف ، فيفتح المحضر ، ويبدأ التحقيق مع أستاذ الجامعة المنقول الى وزارة المعارف . وهو مانصل إليه الآن .

يستمر التحقيق مرات عديدة (أيام ١٩، ٢١، ٢٢ مارس ١٩٣٢) ، وفى كل مرة ، يرفض المتهم – طه حسين – مبدأ التحقيق معه ، وذلك على حد قوله .

«لأن تصرف الوزير بنقلى من الجامعة خطأ يخالف ما بين الجامعة القديمة والحكومة من التعاقد الذى نص فيه على أنى أعين أستاذاً فى كلية الآداب وقد طلبت إلى الجامعة أن تتخذ الإجراء لاعادتى إلى منصبى فيها[١٣]» .

وعلى هذا النحو ، ينسف طه حسين التحقيق من أساسه ، وإذا كان ولابد من التحقيق ، فان ثمة شرطا واحداً لابد من أن يراعى ، هو ، أن يعود أستاذاً فى الجامعة وأن – على حد قوله – « يحقق معى على هذا النحو وبهذه الصفة وأمام الهيئات التى تملك سؤال الاساتذة والتحقيق معهم» .

وهذه الإصرار فى رفض التحقيق معه يذكرنا بالموقف القديم الذى وقفه فى نيابة سعد فى العشرينات ، وها هو الموقف يعود مرة أخرى فى الثلاثينات ، إذ أن التحقيق الذى يجرى معه ، مجرد التحقيق ، غير وارد فى غيبة الأصول التى يقوم عليها .

وتبدأ مناورات المحقق ومحاولته سلب أى اعتراف منه ..

يؤكد له المحقق أن كونه موظفاً الآن فى وزارة المعارف وبعيداً عن الجامعة يمنح وزير المعارف حق سؤاله يرد طه حسين فى اصرار « هذا رأى الوزير لا رأى » .

ولعدة أيام يطوى محضر ويفتح محضر جديد دون أن يتوقف المحقق عن توجيه الأسئلة، ودون أن يتوقف طه حسين عن رفض الإجابة ..

فالسؤال قائم على باطل

والإجابة مشروطة بتخطى هذا الباطل ليكون التحقيق مشروعا

ويصل المحضر تلو المحضر إلى اسماعيل صدقى ، ويسقط فى يده ، ولايجد أمامه غير أن يقبل التحدى ، ويفصل رئيس الوزراء عميد الجامعة المتمرد ، ويظل طه حسين طيلة العامين التاليين (٣٣/٣٤) بدون عمل ، غير أنه يظل رغم محاصرته المادية والمعنوية ، يوجه سهام نقده العنيف إلى رئيس الوزراء ، وفى عديد من الصحف .

كانت تغلب على مقالات هذه الفترة — رغم النقل والفصل والتشريد — درجة من الحدة والعنف لايمكن اغفالهما ، وهى تعد من أرق مقالات (الأدب السياسى) فى تاريخنا الحديث حتى الآن ، وقد تميزت هذه المقالات بلفظه واحدة كان يؤثرها فى العنوان مثل (سياسة / مصادرة / بلاغ / غيوم / غرور / معارضة / خطبة / معاذير) إلى غير ذلك من العنوانات التى كان يسيل تحتها أعنف (أدبيات) الفكر السياسى وأشرسها .

ولايكون على العميد المفصول غير الانتظار حتى تسقط وزارة صدقى ، وتأتى وزارة أخرى تتعاطف مع الوفد فيعود إلى الجامعة ثانية ..

طه حسين والقصر

كان بين طه حسين وبين أصحاب (الهلال) أكثر من هذه العلاقة التى يمنحها العمل فى مجال واحد ، كما كان بينه وبين مجلة (الهلال) خاصة أكثر من هذه العلاقة بين كاتب وبين المجلة التى يؤثرها عن غيرها .

أما مابينه وبين أصحاب الهلال فقد تبدى فى شىء كثير من الود الذى يقترب من النفوس فيحولها إلى أرواح عذبه مؤتلفة وهو ماظهر فى أكثر من مرة : فقد قام ، عن طيب خاطر ، بنقد كتاب أميل زيدان (قادة الفكر البشرى) ـ فبراير ١٩٢٥ ، وهو مافعله فى شىء من الرضى مع فكرى أباظة حين أهداه كتابه (الضاحك الباكى) مؤكداً فى صحيفة الوادى أن مايفعله الآن بمثابة « أديبا يجامل أديبا ، وصديقاً يعرف للحق صديقه » بل بلغ من تقدير طه حسين لفكرى أباظة أن راح – أثناء تجميع بعض مقالاته فى الجزء الثالث من حديث الأربعاء – يحرص أن يتضمن هذا الجزء تلك المقالة ، وهو مافعله بشكل ما مع عديد من أصحاب الدار وكتابها ومن أظهرهم جورجى زيدان حين كتب عنه فى بداية الستينات فى شىء شديد من الرضا (الأدب ١٩٦٣/١) .

أما الهلال – المجلة – فقد خصها بكثير من مقالاته فى الثلاثينات والاربعينات وإلى وقت قريب قبل رحيله ، غير أن الأربعينات كانت أكثر الأعوام لفتا للنظر فى علاقة طه حسين بهذه المجلة ، وهو مايعود إلى طبيعة هذه الأحداث التى كانت تمر بها مصر فى هذه الحقبة .

وإذا أردنا أن نختار عاماً حافلا بالنسبة لطه حسين وللهلال ، فسوف يكون عام ١٩٤٧ أكثر هذه الأعوام لفتا للنظر ، ففى هذا العام كانت مصر مازالت

تعانى من القهر السياسى والاجتماعى عقب الحرب العالمية الثانية ، وخاصة ، أن وباء الكوليرا كان يهاجم مصر هجوما عنيفا فى وقت كان الانجليز مازالوا يماطلون فى الاستقلال التام ، وكانوا يراوغون للحصول على حلف يكونوا فيه الطرف القوى ، غير أن أكثر هذه الأخطار حينئذ تمثلت فى سلطة الملك (الاوتوقراطية) التى كان سعى دائماً للسيطرة بها على كل شئ .

ولنتوقف ، أكثر ، عند صور من استبداد القصر قبل أن نصل إلى الأزمة التى أثارها على أثر بعض مقالات طه حسين .

عقب الحرب العالمية الثانية تزايد نفوذ القصر فى الوقت الذى كان ينحسر فيه نفوذ الانجليز ، ومن ثم ، فبعد أن كانت مقاليد الحكم فى يد قوى الاحتلال فى العشرينات تنحت الآن لتخلى الأمر للملك الذى حاول الاستحواذ على مساحات نفوذ كبيرة من خلالها ودارس تاريخ هذه الفترة يلحظ كيف أن الملك كان يهتبل الفرصة – أية فرصة – للسيطرة على كل شىء : الحركات القضائية من فصل وتعيين ، حركات المديريين ، ومن إليهم من وزراء الداخلية خاصة ممن يحتاج الأمر بشأنهم إلى صدور مرسوم .

وهذا يفسر كيف أن رجلا قويا مثل إسماعيل صدقى فى وزارته الثالثة (١٩٤٦/١٩٤٨) راح يمالىء الملك ويطامن من غضبه ويحقق رغباته غير المشروعة ، وعلى سبيل المثال ، فإن صدقى لم يحرك ساكنا لسعى الملك فى كل مرة فى الطريق المضاد للحياة النيابية وزيادة سلطته ، حتى إن سياسياً ومثقفاً كبيراً مثل د . محمد حسين هيكل أكد (فى مذكراته) أنه قد أصبحت وزارات كاملة تتبع القصر بتعيين شبه رسمى (١٤ ، ٢٨٠) ، كما أن حسن يوسف نائب الديوان الملكى يذكر الكثير من صور ولع الملك بفرض سيطرته على كل ما من شأنه أن يقوى قبضته الاستبدادية على أجهزة الحكم وتنظيماته

التشريعية . كما أن مراجعة وثائق عابدين تؤكد لنا فى كثير من الموضوعات أن الملك ما كان يترك كبيرة أو صغيرة إلا ويتدخل فيها .

وبدهى أنه كلما كانت إرادة الحكومة ضعيفة زادت شهوة الملك للسيطرة والاستحواذ على مساحات شاسعة من المناصب والأجهزة الرسمية .

فأين كان طه حسين من هذا كله ؟

وبشكل أدق : ما هو موقف طه حسين من القصر ؟

فى هذه الفترة تحدد موقف طه حسين – حسب انتمائه للوفد – فى أمرين :

– إما محاولة إرضاء الملك

– وإما محاولة إرضاء الحزب

غير أنه حاول أن يرتبط بموقف الوفد الذى كان آخذا – حينئذ – فى الاقبال على الملك ، وهو موقف تأرجح بين الصمت مرة والرمز مرة أخرى ، ولأن طه حسين كان متمرداً بطبيعته ، فقد بدأ إرتباطه بالموقف الآخر – الرمز – أكثر من سواه .

وقد تغير موقف طه حسين فى أكثر من مرة فى عقد الأربعينات ، غير أن موقفه الأخير وارتباطه بالقصر تمخض عن عدة خيارات تالية لم تختلف كثيراً عن سابقتها .

كان عليه أن يواجه الملك وفى الوقت نفسه يهادنه ..

وتعددت الاستجابات : الصمت ، التردد ، الرمز .

وتحددت فى ثلاث طرق :

إما مهادنته الملك ، ومن ثم ، التزم الصمت

وإما موقف التردد ومن ثم آثر أن يرسل إليه كتبه فى بعض الأحيان ، فيلتزم بعدم إعلان موقف محدد منه .

وإما بتصنيع الرمز وتلمس الرمز والتلغيز

وبالعودة إلى مراجعة هذه المواقف نرى أن مهادنة الملك تبلورت إلى مصانعته، ولم يتردد أن يمارس هذا خلال إلقاء أكثر من خطبة اضطر إليها ، فوقف ليمدح الملك أو أباه فى مناسبة عقد القران الملكى أو العيد الفضى لجامعة الملك فؤاد أو افتتاح معهد الصحراء ... الخ .

ويمضى فى هذا السياق ماتشير إليه بعض وثائق دار الوثائق المصرية من ان طه حسين أرسل بأكثر من إهداء بكتبه إلى الملك وراح الملك يبادله — الرد— بالفعل .

أما عن استخدام الرمز والتلغيز ، فقد زخرت به مقالات هذه الفترة وبعض الكتب التى كان قد نشرها — منذ البداية — متفرقة .

وقد كانت هذه هى الفترة التى زخر فيها كتاب جديد فى فن (الابيجراما) وهو ، (جنة الشوك) عام ١٩٤٥ بكثير من الرمز ضد الملك ، كذلك واصل ذلك الاتجاه فى كتب أخرى من أمثال : مرآه الضمير الحديث ١٩٤٨ ، وبين بين ١٩٥٢ ، والمعذبون فى الأرض ١٩٤٩ وروايته الناقصة ماوراء النهر وفولتير : زاديج والقدر ١٩٤٧ وبعض المقالات الأخرى التى أعاد نشرها فى كتاب (الوان) .

غير أن كتابات مجلة (الهلال) كانت أكثر هذه الكتابات التى تحث على الرمز ، وتدفع إلى الغضب وتدعو إليه .

ويبدو أن هذه الكتابات التى نشرت فى الهلال كانت من القوة بحيث إن طه حسين راح يجمعها فى نفس العام ليضمها فى كتاب واحد ينشر تحت عنوان (نفوس للبيع) أو – عنوان تال – مرآة الضمير الحديث .

وهنا نصل إلى طبيعة كتابات طه حسين ضد القصر .

ومن المفيد أن نشير – كذلك – إلى أنه ليس الضغط الشعبى – وحده – كان دافعاً لطه حسين ليتخذ هذا الموقف ، وإنما كانت ظروفه الخاصة أيضاً تدفعه إلى مثل هذه (التقية) التى كان يضطر إليها ، فمنذ عام ١٩٤٤ (بعد إقالة وزارة الوفد) وجد طه حسين نفسه مقالا ، وبعد أن كان مستشارا فنياً بوزارة المعارف أصبح الآن لايعمل فى أى منصب رسمى ، وبقيت له الكتابة ، وقدر كبير من الذكاء والوعى ليمارس بهما دوره هنا .

فلنعد إلى مقالاته التى نشرت فى (الهلال) ونشرت فى كتاب حينئذ .

إننا فى هذا الكتاب نستطيع أن نرصد صوراً كثيرة من الرمز المباشر ضد القصر ، وهى درجة وصلت من الكشف والمباشرة حتى دفعت بالملك إلى الثورة ضده ، ثم يحول هذه الثورة إلى غضب يصبه صبا على أصحاب الهلال .

ومع أن هذه المقالات تزخر بالحديث عن الفقر والشقاء والوباء والألم الإنسانى ، فإن مقالته التى نشرت خاصة بالهلال بعنوان (قلب مغلق) فى فبراير ١٩٤٧[١٦] تعد من أهم هذه المقالات قاطبة التى أضاف فيها إلى كل هذه المعانى الرمز الذى حاول من خلاله النيل من القصر ومحاولة الحد من سلطاته المطلقة فى وقت يغلق فيه الملك على قلبه / حصنه كل الدروب .

وقبل أن نصل إلى موقف الملك من طه حسين حينئذ ، قد يكون من المفيد أن نشير الآن ، إلى أهم ما جاء فى هذه المقالة (قلب مغلق) لتدارك السبب الذى من أجله وصل القصر فيه إلى درجة عالية من الغضب .

كان أول مايلاحظ فى عدد الهلال الذى نشرت به هذه المقالة أنه كان ذا غلاف أحمر وان تماوجت فيه درجات اللون الأخضر وقد توسطته صورة الملك وهو يرتدى الزى العربى، وتحت الصورة التى تغطى مساحة الغلاف كله هذه العبارة (فاروق الملك العربى/ بمناسبة المهرجان السابع والعشرين لميلاده السعيد)، وحين نقلب فى العدد نجد مقالة طه حسين تبدأ ببنط كبير وبفقرة ذات بنط أكبر قليلاً من الجمع العادى للمقالة ، العبارة تقول :

«إن حصنك يا سيدى ليس إلا قابك المقفل الذى لا تصل إليه رحمة حين يحتاج الناس إلى الرحمة ، ولا رفق حين يحتاج الناس إلى الرفق» .

وتتوالى سطور المقالة الساخطة فى شىء من الهدوء المصطنع ، الملغزة فى شىء من المباشرة الشديدة ، وتتوالى السطور فى ضمير المخاطب ، حيث يتجه الحديث بشكل مباشر إلى الملك .

(لا تغضب ، فلم أرد إلى اغضابك ، ولو قد أردت إليه لما استطعته ولا قدرت عليه) .

ولأن الكاتب يعلم أن المخاطب / الملك لايهمه من أمره شيئاً ، فإن الكاتب يؤثر أن يتجه إلى الشعب ليبثه مايحس به ، إنه يتجه إليه وكأنه يوجه خطابه إلى الناس حتى يكشفوا هذه الأستار البالية والتى ماتزال تحجب شيئاً من ضوء الحقيقة ، يقول :

«فما ينبغى أن يظل الناس من أمرك فى هذه الحيرة المتصلة ، يرونك واحداً منهم ويقدرون أنك متضامن معهم فى حمل أثقال الحياة والنهوض بأعبائها ، حتى إذا جد الجد ، افتقدوك فلم يجدوك ، وإذا أنت سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً ، ووجد عنده الحزن واليأس وخيبة الأمل وكذب الرجاء .. أنت شريكهم فى العيش الرضى والحياة المقبلة ، وأنت أبعد الناس عنهم حين يغلظ العيش ،

ويعظم البأس، وتدبر الحياة . تسرع إليهم حين ينعموك لتشارك فى نعيمهم .. الخ» .

وينتقل طه حسين من هذا كله إلى حصنه أو قلبه سيان ، وهو حصن (أو قلب) مغلق عن أوجاع الناس وهمومهم ، يضيف :

«إن حصنك هذا المؤشب ياسيدى ، ليس إلا قلبك المقفل الذى لا ينفذ إليه شعور بالتضامن أو حاجة إلى التعاون ، والذى لا تصل إليه رحمة حين يحتاج الناس إلى الحرمة ، ولا رفق حين يحتاج الناس إلى الرفق ، ولا رثاء حين يحتاج الناس إلى الرفق، ولا.رثاء حين يحتاج الناس إلى الرثاء. إنه قلب قد صور من صخر مجوف ... الخ» .

وبعد أن يسهب طه حسين طويلا فى هذه المقالة ، واصفاً قلبه بأنه رشيق أنيق « قفل من ذهب نضار » ومن ثم فإنه لايرى أبعد منه ، ولايسمح بمغادرته قط ، لن يسمح له برؤية الأحداث الآتية، فمهما يكن من حظه من الجمال والصلابه فإنه :

«لن يستطيع أن يقاوم الأحداث، ولا أن يثبت للخطوب، ولا أن يحتفظ بهذا القفل الذهبى المرصع...» .

ومن هنا ، فإن طه حسين يكون صريحاً غاية الصراحة حين يحذر محدثه بما سوف يأتى به الأيام بما فيها من حوادث وخطوب ، لنستمع إلى حدس طه حسين مرة أخرى :

ثم يصيح طه حسين محذراً من هذه الساعة الآتية لا محالة :

«هذه الساعة آتية عليك وعلى قلبك فذاهبة بك وبقلبك إلى حيث يذهب الناس ثم لا يرجعون .. صدقنى أن من الخير الكثير لك ولغيرك

أن تصدع قلبك قبل أن تصدعه الأحداث، وأن تفتح قلبك قبل أن تفتحه الخطوب، وأن تشعر من حولك من الناس بأنك تجد بعض ما يجدون ، وتعتقد مثل ما يعتقدون، إنك مثلهم قد خلقت من تراب وستعود إلى التراب، وإن الذين يستوون قبل أن يدخلوا الحياة ويستوون بعد أن يخرجوا من الحياة ليسوا فى حاجة إلى أن يتمايز بعضهم من بعض، ويبغى بعضهم على بعض، فى هذه الطريق القصيرة التى يسلكونها بين المهود واللحود» .

ويعجب المرء من هذا التلغيز الواضح لدى طه حسين ، وهذا الوضوح فى الرمز فى هذه السنوات التى سبقت ثورة ١٩٥٢ ، فلم تكن هذه السطور إلا تحذيراً للملك من هذا المصير التعس الذى لاقاه بعد ذلك بسنوات قليلة .

وتنتهى مقاله طه حسين ، ويبدأ غضب القصر ، إذ سرعان ماتبدأ وفود القصر تصل إلى دار الهلال ، غاضبة عاصفة بكل ما من شأنه أن يدافع عن صاحب المقالة ، فقد فطن الملك مما أراد أن يقوله طه حسين ، وهو وان بدأ فى شكل غامض ، فإن عموضه كان كفيلا بتحريك الأفهام لدى شعب يئن تحت سطوة الملك وأجهزته الفاسدة .

ولدينا أكثر من رواية لرد الفعل لدى أصحاب الهلال فى هذا الوقت (على سبيل المثال عاد طه حسين إلى الحادثة لأكثر من مرة مع د . محمد الدسوقى فى كتابه عنه ، ومع الأستاذ سامح كريم فى حواره معه لمجلة الإذاعة الذى نشر فيما بعد) ...

وتفصيل ذلك كله أن أصحاب الهلال وجدوا أن الأزمة التى نشبت حينئذ بين الملك والمجلة تعود إلى طه حسين ، ومن ثم ، رأوا أن غضبة القصر لابد أن تواجه بالحكمة ، ومن هنا ، فقد توجه اثنان من أصحاب دار الهلال فى هذا

الوقت وهما أميل زيدان وفكرى أباظه إلى حيث يقطن طه حسين ليقابلاه ، فلما تم اللقاء ، قال أصحاب الهلال لطه حسين فى وضوح شديد :

– ان السراى فهمت أن الملك هو المقصود فى المقال

فقال طه حسين فى مراوغة :

– ليس فى المقال تعريض بالملك ولا أعنيه بما كتبت .

وتشير كثير من المصادر الحية إلى أن طه حسين كان كلما تذكر هذا الحديث ، فإنه يصمت قليلاً قبل أن يقول – فجأة – كأنه نسى شيئاً :

– الله يشهد أننى عندما كتبت المقال لم أفكر فى أحد إلا فى الملك . ولم أقصد أحداً سوى ذاته .

على أية أية ، فان رسالة الملك إلى أصحاب دار الهلال كانت واضحة وصريحة : (يجب ألا يكتب طه حسين أو يستكتب قط فى دار الهلال) ، ورغم ان صاحبى الدار ابلغاه بهذه الرغبة رغم وجود عقد بين الكاتب والمجلة ، فإنه يبدو أن أيا منهما لم يلتزم بذلك ، إذ سرعان مانعثر فى العدد التالى مباشرة (مارس ١٩٤٧) على مقالة أخرى عليها توقيع طه حسين وتحمل عنوان (من بعيد) تحوم حول أفكار العميد من بعيد ، وإن كانت تقترب من الرمز والإشارة الصريحة كشأنه فى هذه الفترة .

ولم تمض سنوات الأربعينات حتى كانت الخمسينات تحمل تحقيق نذير طه حسين ، إذ سرعان ماقامت ثورة ١٩٥٢ ، وأجبرت هذا القلب الذى (صور من صخر صلب صلد مصمت) على أن يفتح وتذهب به الرياح .

ولم يكن طه حسين إلا واحداً من هؤلاء الذين أسهموا فى صنع هذه الرياح وإفساح المناخ لها حتى تعصف بمثل هذه القلب الفاسد أو هذه القلوب الفاسدة حينئذ ، وما أكثرها ..

غير أنه، مع ثورة يوليو، لم يكن هو كما كان قبل الثورة لقد كان طه حسين ضد طه حسين .

ثانياً

طـه حسـين
ضـد
طـه حسـين

من التمرد إلى التأييد

وها نحن الآن نرتد إلى النصف الثانى من القرن العشرين ، لنرى ، إلى أى مدى تحول المثقف (المتمرد) إلى المثقف (المؤيد) ...

فما كادت ثورة ٢٣ يوليو تعلن صباح هذا اليوم حتى كان طه حسين يتحول إلى نمط آخر لاينتمى إلى تكوينه الذاتى وما جبلت عليه طبيعته ..

كان طه حسين هو (المتمرد)، ومن ثم كان قمينا أن يكون الفارس المغوار فى مواجهة قوى السلطة الغاشمة ، أما الآن ، فإنه لم يعد كذلك ، لقد تحول إلى شيء آخر، إلى شيء (ضد) القيم الأولى له .

لقد أصبح طه حسين (ضد) طه حسين

وهو ماسنحاول أن نتتبعه خلال عدة صور أخرى متوالية طيلة الفترة التى تبدأ من يوم الثورة - ٢٣ يوليو - وحتى بداية السبعينات حيث كان طه حسين يتهيأ للرحيل ، فعاش فى فترات غيبوبة ، وعزلة اختارها لنفسه بعيداً عن العالم .

فقـدان الـوعـى

بعد أن سقطت آخر وزارة وفدية ، وكان طه حسين وزيراً للمعارف فيها (فى ٢٦ يناير ١٩٥٢) رحل إلى إيطاليا ، وفى هذه الفترة ، أعلنت ثورة ١٩٥٢ ، وتقول قرينة طه حسين إنه حين بلغ سمعه نبأ قيام الثورة فى مصر ، أصابته دهشة شديدة ،أسلمته إلى حالة من فقدان الوعى ، فسقط مغشياً عليه .

وكانت الفترة التى فقد وعيه فيها إيذانا بتحويله من عصر إلى عصر

لقد كانت هذه الفترة ـ على حد قوله لتوفيق الحكيم حين كتب له من إيطاليا ـ «تنشر فيها مصر من تاريخها كتابات وتطوى كتاباً»[1] ، إذ كان منتمياً لعصر يميل فيه بالولاء لسياسة حزب الوفد ، وهو الآن فى عصر آخر ، لا يعرف فيه أحد قط ، ومن هنا ، فإن صعوبة استيعاب هذا الحدث المفاجىء كان كفيلاً للسقوط فى دائرة فقدان الوعى .

ولم يكن فقدان الوعى هنا سيكلوجيا فقط ، وإنما كان يعنى فقدانا للوعى بشكل ذاتى وشخصى .

لقد كانت فترة فقدان الوعى ، هى الفترة التى تحول فيها من قناعات معينة إلى قناعات أخرى مغايرة ، ومن ثمَّ ، كان لابد وأن يصحب التغيير المفاجىء اضطراب لازمه طيلة حياته بعد ذلك .

وهذه الفترة التى فقد الوعى فيها كافية ليتحول من تمرده القديم وعلى القديم إلى تأييده للجديد وللجديد .

لقد طوى تاريخه السياسى ومواقفه الرائعة فى العصر الذى تنتمى إليه إلى عصر يتوارى فيه ضباط القيادة فى رداء من التواضع ، ويصمتون كثيراً إلى درجة أن الساسة والمثقفين من العهد القديم لم يعرفوا ماذا يريد هؤلاء الشباب

من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين

وقد يكون من السابق لأوانه أن نتوقف عند فترة التحولات فنشير إلى ان طه حسين (وقد أصبح الآن شيخا) تحول إلى موقف التأييد المطلق لرجالات العهد الجديد ، ثم نحاول تفسير هذا التحويل من العصر الليبرالى إلى العصر الناصرى ، غير أننا نستطيع ان تسترشد ببعض المعالم التى تعييننا على فهم طبيعة هذا التحول وضرورته .

وسوف يكون سبيلنا إلى هذا يمر بمرحلتين :

ـــ المرحلة السياسية

ـــ المرحلة الاجتماعية

وهبوطا إلى تكوين طه حسين الفكرى ، فإن طبيعته فى هذا الوقت تشير إلى انه تحول من أقصى اليسار الذى كان قد وصل إليه فى نهاية الأربعينات إلى أقصى اليمين بعد ثورة يوليو ..

وهذا يعنى تحولا من التأييد الشديد إلى التأييد المطلق

والواقع أن هذا التحول يبدو من اليسار إلى اليمين فى الظاهر ، لكنه يخفى تحولا من اليسار إلى اليسار فى الباطن ، فلا يمكن أن نرى فى موقف طه حسين ، وبخاصة الفترة الأولى من قيام الثورة ، غير تحول من اليسار إلى اليسار ، إذ أن ماأعلنته الثورة ، والطريقة التى جاءت بها ، كانت تشير إلى أنه يمكن أن نعثر فى حركتها على تغير ردايكالى يكمل المسيرات الثورية التى بلغت أقصاها فى السنوات التى سبقتها .

وهذا يتواءم تماماً مع توجهات المثقفين والسياسيين حينئذ ..

ونستطيع فهم هذا التحول من تأكيدات طه حسين نفسه ، فعلى المستوى السياسى ، حين سأله البعض عن سبب تحوله من حزب الأحرار إلى حزب الوفد فى بداية الثلاثينات ، فقال إنه :

« جرت العادة على أن يتغير الناس كلّما تزيد بهم السن ، فينتقلون من الشمال إلى اليمين ، وينتقلون من الثورة إلى الاعتدال ، أما أنا فقد انتقلت من اليمين إلى الشمال ، لقد وجدت حزب الأحرار والدستوريين والسعديين قد ائتلفا وكنت أفهم أنى أكتب معهما ثم بغى الأحرار على السعديين ، هنالك تحولت إلى الوفد » .

هذه هى الفترة التى سجلت تحولات طه حسين من أقصى اليمين الرجعى إلى أقصى اليسار الوفدى ، وقد كان الوفد حينئذ يقود حركة اليسار بناء على تبنيه لقضايا الجماهير وسيطرته على أغلبيتها .. ومع ذلك ، فإن طه حسين يعود فى الخمسينات ليفعل فعلاً مغايرا ، يؤيد حين كان التأييد معيار الولاء الوحيد .

والواقع أن هذا التطور جهة اليمين كان فى الاتجاه السياسى فقط ، فبعد أن راحت سكرة الحركة فى أيامها الأولى ، راح يؤيد رجالات الثورة ولما يتبين وجه الحكام الجدد ، وراح يتعصب لهم ويدافع عنهم حتى بعد أن أسفر وجههم ، وقد تأكد على مدى الممارسات الطويلة – على أقل فى فترة محددة – أن هذا الوجه – وجه الثورة – يحتاج إلى التأنى فى التأييد ، أو على الأقل ، الصمت ، لئلا تستفحل الأمور ويكون شاهداً عليها أو قائماً فيها .

لقد كان اتجاهه إلى اليسار مستمراً ، وفى الفترة الأولى ، أما اتجاهه الى اليمين ، فقد أستمر أكثر بعد أن راحت (السكرة) وتبين فى الثورة مالم يتبين أول قيامها .

وإذا كان هذا هو الموقف السياسى ، ففى الموقف الاجتماعى غدا الخطأ أكثر .

فبينما آثر اليمين ، أى تأييد الحكم القائم ومهادنته ، فإنه على المستوى الاجتماعى والفكرى كان أكثر يسارية ، وأكثر وعيا ، وحين قال عن نفسه فى

هذا الوقت (لاأحب الديمقراطية المحافظة ولا المعتدلة ولا أقنع بالاشتراكية الفاترة)[٣] ، فإن ذلك كان ينطبق ، بوجه خاص ، على العهد الماضى ، أما الحاضر ، فقد أصبح يؤثر ديموقراطية الحكام أيا كانت ، ويقتنع باشتراكيه يعلنون عنها مهما تكن طبيعتها .

وهو مايختلف فيه كثيراً فى الموقف الاجتماعى ..

لقد كان هنا أكثر ميلا إلى التمرد ، وهو ماينطبق على مقولته التى يضيف فيها إلى مايسبق فيقول : (وإنما أياسر إلى أقصى ماأستطيع)[٤] .

إنها المياسرة فى الجانب الاجتماعى ولما يمض كثير على الثورة .. وعلى هذا النحو ، فإن أحداث الثورة الأولى تؤكد هذا الموقف الرجعى فى السياسى ، التقدمى فى الفكر ، وبخاصة ، الفكر الاجتماعى .

صاحب الفكر الراديكالى

فى رصد موقف طه حسين من النظام الجديد سوف نجد ملامح الفكر الاجتماعى ، إذ أن تأييد المثقف للسلطة لم يكن ليأتى من فراغ ، وإنما الإنصاف يفرض علينا إلى أن نشير إلى أن طه حسين بفكره الراديكالى إلتقى بالوجه الجديد للثورة ، على الأقل فى الفترة الأولى ، إذ كانت للثورة توجهات راديكالية أول قيامها كما كان لطه حسين توجهات اجتماعية قبل ذلك .

وقد كان هذا من البواعث التى أسرعت بطه حسين إلى تأييد الثورة ، على الأقل فى الفترة الأولى من قيامها .

وبالعود إلى الفكر الاجتماعى عند طه حسين قبل ثورة يوليو ، سنجد أنه كان يتميز بالانحياز إلى الجماهير الشعبية الكادحة ، وبخاصة، فى عقد الأربعينات ، ويمكن أن نشير فى هذا إلى دوريات هذه الفترة وكتبها ، وهى كثيرة ، (لنذكر : جنة الشوك ١٩٤٥ ، مرآة الضمير الحديث ١٩٤٨ ، الوعد الحق ١٩٤٩ ، الفتنة الكبرى بجزئيها ١٩٤٧ ، دعاء الكروان ١٩٤٢ ، أحلام شهر زاد ١٩٤٣ ، شجرة البؤس ١٩٤٤ ، ألوان : المقالات التى نشرت بين عامى ٤٥/١٩٤٨ قبل أن تنشر فى كتاب) .

ونستطيع أن نشير بشكل ملحوظ إلى روايتيه (ماوراء النهر) و(المعذبون فى الأرض) حيث أغضب بهما طه حسين السراى إلى درجة نستطيع أن نفسر عندها حنق الملك الشديد من طه حسين ، هذا الحنق الذى كان يغذيه ــ فضلاً عن التوجه الاجتماعى ــ تقارير البوليس السياسى .

ورصد كتابات طه حسين فى الفترة الأولى بعد قيام الثورة يؤكد الاتجاه الاجتماعى ، وعلى سبيل المثال ، ففى مقاله هامة حول التبرع لمعونة الشتاء للمحتاجين نجده يستعيد – بشكل لا واع – دعوته الاجتماعية القديمة ضد الأصوات الكثيرة التى علت – خاصة من مثقفى الليبراليين – مطالبة بالإصلاح ، وكما حارب (الإحسان) فى الاربعينات ودعوة إقامة (الموائد) للفقراء ، فإنه يرفض مثل هذه الدعوات التى يبدو فيها الاستعلاء « ولابد أن يقوم مقام هذه العواطف عواطف الإيمان بالمساواة والعدل بين أبناء الشعب » .

وعلى هذا النحو ، يكتب طه حسين فى الأهرام (١٩٥٢/١٢/٦) فيقول :

ـ كان ينبغى أن يكون المصريون جميعاً بمأمن من العاديات لا يحتاج بعضهم إلى صدقة بعض لأنهم جميعاً أبناء مصر لهم جميعاً أرضها الخصبة وجوها الصحو وشمسها المشرقة وسماؤها الصافية ونهرها الذى يحمل إليها الخير فى كل آن من آناء الليل والنهار ، ولكن فكر الحياة الاجتماعية قد انتهى عصر إلى هذه الحال المؤلفة المخزية » .

وهذا الموقف الاجتماعى من طه حسين تعمق كثيراً طيلة الخمسينات والستينات حتى أن جاك برك يرى أن رصد الآيات القرآنية التى يستخدمها طه حسين فى كتاباته يشير إلى أنها تتضمن مضموناً اجتماعياً فهو لايستخدم الآيات التى تستخدم مضموناً إلهيا أو غيبياً (٣١/١١) ، وحين يرصد الدوائر التى تحوط بمركز التكوين يؤكد أن أول الدوائر التى تحيط بالذات إنما هى دائرة التقاليد الفردية والعادات الاجتماعية بما يقطع بولع طه حسين بالجانب الاجتماعى قبل أن يصل للجانب الأنسانى (٣٠/١٢) .

معنى ذلك ، إن طه حسين كان تأييده للثورة أول الأمر نابعاً من طبيعة الفكر الراديكالى الذى سعى إليه ، وهذا الموقف اتفق فيه معه عدد كبير من

المثقفين ، فمن المعروف أنه أيد الثورة فور قيامها : عبد الرزاق السنهورى ومحمد حسين هيكل ود. محمد مندور وأحمد أبو الفتح وسلامة موسى وراشد البراوى واحسان عبد القدوس وسيد قطب والشيخ حسن الباقورى وغيرهم .

غير أن هذا الموقف تغير لدى الكثيرين أيضاً من التأييد المطلق فالتأييد المشروط فالمعارضة بفعل مواقف الثورة حينئذ ، وقد كان من أبرزها هذه القوانين (الثورية) التى حاولت القضاء على بنية العهد (القديم) كله فألغت الأحزاب وأسقطت الدستور وفرضت الرقابة على الصحف والقت بعشرات من المثقفين فى السجون ، إذ أن اتجاه الثورة فى هذه الفترة كانت تستوجب (الإجراءات الثورية) وليست (القانونية)

لقد تغير موقف الكثيرين ، وظل موقف طه حسين قائما ..

وتعدد هذا الموقف فى شكل عدة استجابات ..

فلنقترب ، أكثر ، من موقف طه حسين من الثورة ..

بين الوفد وثورة يوليو

قامت ثورة يوليو فبادر السياسيون والمثقفون بتأييدها دون تحفظات، عدا مثقفى (الحزب الشيوعى المصرى) و (طليعة العمال) الذين كانوا يمرون بفترة عدم وضوح رؤية فى علاقتهم بالحركة الجديدة ، فإن مثقفى (حدتو) ساروا فى ركاب هؤلاء الذين كانو قد أيدوا الثورة فور قيامها تأييداً مطلقاً ، سواء هؤلاء الذين ذهبوا إلى ثكنات مصطفى كامل على حد قول إبراهيم عبد الهادى[٥] ، أو الذين هبطوا إلى الشوارع لحراسة المؤسسات الهامة لحماية الثورة[٦] .

وتؤكد مصادر هذه الفترة على أن طه حسين (الليبرالى ذو الميول الوفدية) إنحاز لضباط (الحركة) الجدد فى وقت لم يبد فيه أى عداء ظاهرى للوفد .

وفى الفترة التى اضطربت فيه العلاقة بين الثورة والوفد كان طه حسين – بشهادة الكثيرين – كثير الالتقاء بزعماء الثورة وبخاصة جمال عبد الناصر ، كما كان ينقل إليهم (أى لرجال الوفد) حديثا ظل يردده طويلا دون أن يغير مضمونه قط ، وهو « ان رجال الثورة الجدد يقدرون جهاد الوفد وجهاد النحاس (باشا) ، ولكن يجب أن نلاحظ أنهم شبان ويجب أن نتمشى قليلا مع أهدافهم ونجرى حركة التطهير فى الذين عليهم مآخذ أو مسائل تمس نزاهتهم (١١٠/٧) .

إذن ، كان يحث الغاضبين على الهدوء والتريث ، كما كان يسعى بينهم لإقناعهم لتطبيق خطط الثورة ومنها (التطهير)، وهى خطة ، كان الهدف منا الإيقاع بين الأحزاب ومنهم الوفديون فى هذا الوقت . وبخاصة ، وأن العلاقة بين الضباط والوفديين كانت غاية فى السوء .

ولم يعرف لطه حسين موقف إيجابى مع قيادة الوفد التى كان ينتمى إليها بعلاقة سياسية ، دعك من علاقة الصداقة التى كانت تؤكد معرفه طه حسين

بقادة الوفد وعلى رأسهم مصطفى النحاس الذى كان قد أصر، قبل ذلك بسنتين، على أن يكون طه حسين ضمن وزارته (آخر وزارة وفدية)، بل إن النحاس كان قد خير الملك بين الوزارة وطه حسين .

على أية حال ، فإن هذا الدور الجديد الذى آثره طه حسين فى إبان الخلاف بين الوفد والثورة ، هيأ له أن يلتقى بالنحاس ويحاول ثنيه عن رد الفعل العنيف مع الضباط ، بل الثابت أنه سعى إلى النحاس واستطاع فى فترة من الفترات أن يكتب بيان التنحى عن رئاسة حزب الأغلبية وانتزاع توقيع النحاس على هذا التنحى .

وكان على طه حسين أن يمضى أكثر فى طريق الحركة الجديدة .

الثورة واحتواء المثقفين

بعد فترة وجيزة لم يسلك النظام الجديد أى رد فعل مغاير تجاه المثقفين ، بل راح يتعامل معهم بحذر ، ويحاول احتواءهم بوضعهم فى مناصب (إدارية) ولجان (فنية) بعيداً عن مراكز صنع القرار السياسى .

وهذه هى الفترة التى سعت فيها الثورة للاستفادة من أولئك المثقفين من أمثال طه حسين ، فوجد طه حسين نفسه فى أكثر من لجنة .

وقد بلغ الحذر بالثورة إلى درجة أنها لم تتخذ موقفا إيجابياً مع المثقفين من النظام القديم ، وعلى سبيل المثال ، فهى لم تنحز لطه حسين حين دخل معركة حول التعليم مع إسماعيل القبانى ، إذ بدأ ميلها إلى وزيرها واضحاً ، فراحت الصحف تتهكم على فلسفة طه حسين فى التعليم ، ولابأس من ترك طه حسين فى هذه الفترة يتحدث عن هذه الفلسفة بينما لم يتخذ أى مسئول أى رد فعل إيجابى ، وكثيراً ماقرأنا مقالات طه حسين الضافية عن التعليم دون أن نرى مسئولا يحرك ساكنا لها ، بل اكتفت الثورة بالصمت ازاء الدعوات التى كانت تأتى من الرموز التى تنتمى إلى العهد (البائد) ، حتى ولو كانت هذه الرموز تؤيدها .

على أن النظام الجديد لم يلبث أن اتبع سياسة أكثر مرونة مع هؤلاء المثقفين ، وان ظلت تتوخى (الاحتواء) ومحاولة الإفادة من هذه العناصر دون التورط معها فى إجراء يحد من السلطة أو يضيف أعباء لاتتمشى مع توجهات الثورة ..

وتزخر صحف هذه الفترة بأخبر لقاء طه حسين برموز الحركة الجديدة ورئيسها محمد نجيب ، كما أن الفترة التى أعقبت أزمة مارس تكثر فيها لقاءات طه حسين (فى الصحف) تتعاقب مع جمال عبد الناصر .

ولجمال عبد الناصر مكانة أثيرة لدى طه حسين ، فهو كثيراً مايؤكد لخاصته ولنفسه أن ثمة علاقة طيبة كانت قد نشأت بينه وبين قائد الثورة جمال عبد الناصر ، وقد بلغت هذه العلاقة إلى درجة أنه كان يناديه قائلا (ياجمال) بدون ألقاب قط ، وقد أسهم عبد الناصر - بذكاء شديد من جانبه - إلى تشجيع هذه العلاقة ومحاولة الإفادة منها ، وعلى سبيل المثال ، فإن طه حسين يذكر فى لحظات التأثر فى تأبين عبد الناصر عام ١٩٧٣ ان عبد الناصر أهدى له قلادة فى عام ١٩٦٤ بل ويضيف :

«ولم يكن إهداء هذه القلادة للأفراد والمواطنين مألوفاً من قبل إلا لمن نهضوا بمنصب رئيس الوزراء» .

وتتعدد المرات التى يؤكد فيها طه حسين العلاقة الخاصة بينه وبين عبد الناصر ، وهى علاقة كان عبد الناصر يستثمرها جيدا ، ويعرف كيف يستفيد منها ، ففى إحدى المرات ، وقد قرر منع تحويل بدل السفر إلى الخارج ، اللهم إلا فى مكان محدد جداً وبشروط ، وكان طه حسين ضمن الذين إنطبقت عليهم قرار المنع فى وقت كان قد تعود فيه - مع قرينته - السفر كل عام إلى إيطاليا ، ومن هنا ، لم يجد طه حسين أمامه غير عبد الناصر يخرجه من هذه الورطة ، ويذكر طه حسين نفسه أن عبد الناصر ماكان يعرف حتى تصرف على الفور بما يسمح له بتحقيق حلمه السنوى للسفر إلى الخارج ، بل « واعتذر عما حدث وقال ان كل شيء جاهز ومرتب للسفر كما يريد العميد » (٤٩/٨) .

وقد بلغت العلاقة بين طه حسين وعبد الناصر إلى درجة بعيدة (لاحظ أن طه حسين كان صديقاً ومقرباً من مصطفى النحاس) .. وقد يكون من المفيد هنا أن نسمع شهادة العميد فى هذا الصدد ، يقول :

- وأشهد أنى عرفت الرئيس عبد الناصر أوائل الثورة واتصلت بينى وبينه مودة كانت فى غاية الإخاء وفى غاية المتانة ، وله على فضل

لأنساه .. (و) .. فكان صديقاً صادقاً، وأخاً حميماً، وكان براً عطوفاً . (٤٧/٩) .

ولا شك أن علاقة العميد والزعيم فى فترتها الأولى لم تكن لتشوبها شائبة ، فعبد الناصر – بالفعل – كان يميل بذكاء شديد للمثقفين ، وكثيراً ماطلب أن يعلن عن كل لقاء مع أحدهم فى الصحف ، ويذكر كامل الشناوى أن عبد عبد الناصر طلب فى أول قيام الثورة أن يرى طه حسين (١٠/٣٨))، وذهب إليه طه حسين – بالفعل – غير أن هذا اللقاء – الذى تكرر كثيراً فيما بعد – كان من أول البواعث التى دفعت بطه حسين إلى السير أكثر فى تأييد الثورة ، وفى مسايرتها ، ولم يكن الأمر أمر صداقة تقوم وتستمر مع أحد المثقفين وقائد الثورة ، وإنما هى – من جانب الزعيم – سياسة الاحتواء ، وهى من جانب العميد – سياسة إعلان الولاء .

ولم يكن جمال عبد الناصر ليريد غير الولاء ..

فلنر صورة أخرى من صور هذه العلاقة بين جمال عبد الناصر وطه حسين .

قانون تطوير الأزهر

نستطيع أن نذكر (فى معرض سياسة الاحتواء)، كيف أن الثورة راحت تستميل المثقفين إليها أول قيامها، وبعد أن حدث الصدام بينها وبينهم عقب أزمة ١٩٥٤ ، وعقب انتصار جمال عبد الناصر فى هذه الأزمة راحت الثورة تمثل بأعدائها من السياسيين والمثقفين سواء بسواء ..

كان أهم مظاهر هذا الانتقام إصدار قانون للعزل السياسى صدر فى ١٥ أبريل ١٩٥٤ ، ونص على تطبيق سياسة العزل لمدة عشر سنوات على كل من سبق أن تولى الوزارة فى الفترة إلى ٦ فبراير ١٩٥٢ وكان منتمياً إلى أحزاب فى مقدمتها حزب الوفد .

ورغم أن هذا القانون تم تطبيقه بحرمان ٣٨ وزيراً من الحقوق السياسية من بينهم ٢٢ وزيراً وفدياً .. فإن اسم طه حسين لم يكن ضمن المطبق عليهم هذا القانون ، مع أنه كان وزيراً فى وزارة الوفد الأخيرة .

وتؤكد مراجعة الدوريات من هذا التاريخ حتى رحيله ، أن الثورة سمحت لطه حسين بالتعبير عن رأيه الفكرى أو الاجتماعى (وكثيراً كانت تقر ذلك مادام بعيداً عن الرأى السياسى) ، بل ان الدولة - ممثلة فى شخص الرئيس جمال عبد الناصر - استفادت من كثير من أفكاره التى يعبر بها عن توجه الدولة، وعلى سبيل المثال، فقد كان لطه حسين دور معروف وراء قانون تطوير الأزهر ، فحين الغت الدولة القضاء الشرعى كتب بالجمهورية مقاله طالب فيها أن تكون (الخطوة التالية) القضاء على ثنائية التعليم ، وماكان يلتقى بعبد الناصر ويعودان للتحاور فى هذا الأمر حتى أصدر عبد الناصر، بعد ذلك مباشرة ، قانون تطوير الأزهر .

ونستطيع أن نشير إلى كثير من المواقف التى منحت فيها الدولة طه حسين تشريفا معنوياً ، كأن تمنحه وساماً – على سبيل المثال – دون أن تمنحه الدولة منصبا سياسياً ، أو منصباً ثقافيا من شأنه أن يكون له تأثير سياسى (١٤/١٣١) يذكر .

وبدهى ، أن احتواء طه حسين وصل إلى أقصاه إلى درجة أنه كان يعلن عن تأييده للنظام تأييداً مطلقاً فى كل أحاديثه ، ويحث المثقفين أن يحتذوا أثره فى هذا الصدد .

التأييد التام للثورة

وإذ اتخذ موقف طه حسين موقفاً محدداً من الثورة ، فقد توزع فى عدة إستجابات يمكن تلخيصها على النحو الآتى :

= تأييد ممارسات الثورة وإجراءاتها
= محاربة معاركها الداخلية والخارجية
= مهادنة النظام وعدم مراجعته قط

وعلى سبيل المثال، التزم طه حسين (حالة) الرضا التام عن إجراءات الثورة الانتقامية من خصومها ، والاعتداء على القيم (الديمقراطية) فى مظاهرها العامة فى الفترة الأولى التى شارك فيها خاصة .

فلنعد مرة أخرى إلى البدايات..

قبل أن يمضى شهر واحد على قيام الثورة حتى كان طه حسين يكتب لبعض أصدقائه فى مصر رسالة يعلم أنها سوف تنشر ، عبّر فيها عن موقفه الأول من الثورة، والرسالة التى يريد إبلاغها لأصحابها، جاء فيها

(إن مصر قد وجدت نفسها ولم يخطئها التوفيق ولم تجر عن قصد السبيل) .

وعمد فى هذه الرسالة أن يتحدث عن مساوىء العهد الماضى فقال فى نبرة لا تخلو من رياء (بارك الله للجيش فيما فعل، وبارك الله فيما يفعل ، وبارك لمصر فى الجيش)[1] .

إلى غير ذلك من الألفاظ التى يلحظ معها إيثار طه حسين لجانب الحكم الجديد ولما يظهر منه ما يطمئن .

ويصل الخطاب ، وينشر بالفعل ، ويقرأ الناس صبيحة ٢ أغسطس ١٩٥٢ فى صحيفة الأهرام ، وفى مكان لا تخطئه عين ، تأييد طه حسين وتعميده لهذه الثورة بما جاءت به وبما سوف تجىء .

ولايكاد يصل إلى مصر حتى يواصل سيل الكتابات المؤيدة بدون تحفظ ، المؤكدة بدون مواراة ، فالموقف الذى التزم به لم يعد مندوحة من الاعلان عنه والغلو فيه .

ان طه حسين فى هذه الفترة يرتدى أكثر من قناع ، إنه يرتدى قناع العراف فى أحد المرايا حين يسأل فيها عن الثورة وأثرها فى الحياة العقلية ، فيقول :

ـ سيكون للثورة أثرها فى تطور الحياة العقلية ، ليس فى ذلك شك .. ولكن بعد أن يمضى وقت كاف تصل فيه الثورة إلى غاياتها ، ويشعر فيه الشعب بحقائق هذه الأشياء ، وتتأثر بها حياته تأثراً صادقاً .

ولا يلبث أن يضيف بلهجته الواثقة المؤيدة للعهد الجديد ، بما يذكرنا بنفس اللهجة الواثقة المؤكدة للعهد القديم لاسيما فى الأربعينات أثناء الثناء على مليكه ، فالثورة القائمة فى مصر الآن هى :

ـ صورة صادقة لنفس الشعب المصرى ، فكل مصرى يعلم أن هذا الشعب لم يكن راضياً عن حالة ولا مطمئناً عليها (٢٢/١٥) .

ومصر الآن عنده ، ولما يمض على مجيئه إليها زمن قصير ، هى (مصر الرائعة) ، عاقداً المقارنة بين مصرين ، مصر السابقة ومصر الرائعة ، يقول :

ـ مصر حين تركتها فى أوائل يونيو الماضى وبين مصر التى وصلت

إلى أنباؤها أواخر يوليو الماضى، أن ذلك الخطر لم يعد مقصوراً على الشعب، وإنما أخذت السلطات تشاركه فيه مقدماً بهذه المشاركة (١٦/٢٠).

وهذه هى الفترة التى كانت الرقابة فيها مفروضة على الصحف، والعديد من المثقفين، من شتى التيارات، يدخلون السجون، ومع ذلك، فان طه حسين حين يسأل حول حرية النقد يرد بسرعة على من يسأله (إنها موجودة) ولا يرى فى مصر غير إنها (قائد الديموقراطية)، ويذهب إلى درجة أنه يحرض الثورة على المثقفين ويبيح لها التنكيل بهم، وحين يضيق عليه سائله الخناق،

فهل من الحق توجيه النقد للثورة، يقول :

(من حقها ومن الواجب عليها ــ أى الدولة ــ أن تحمي نفسها من جموح بعض الأقلام حتى تطمئن إلى بلوغ غايتها مادامت مستعدة لقبول النقد)[١٦].

وطه حسين فى هذا كله لا يغفل الحذر ولا يتدخل فى القضايا التى احتدم حولها هذا الصراع بين معسكر الثورة والمثقفين، فهو فى الوقت الذى يحتدم فيه هذا الصراع يؤثر الأدب والكتابة، اللهم إلا إذا اضطر مرغما للكتابة فى السياسة[١٧]، وحين يرسل من باريس ليعبر عما يجول بخاطره عما حدث لمصر بعد الثورة يرسم صورتين يناقض بعضهما البعض الآخر، ويشير كلاهما إلى الحذر فى الكتابة والتأنى فى التصوير ..

إن طه حسين مرة يقرر أن مصر « قد وجدت نفسها ولم يخطئها التوفيق ولم تحد عن قصد السبيل وإنما ملكت أمرها وضبطت نفسها ومضت فى طريقها إلا الإصلاح »، ولايلبث أن يذكر العهد (البائد) فيجىء بصورة أخرى مناقضة لسابقتها، يقول عنه « كنا ننكر بقلوبنا وكنا ننكر بألسنتنا حين يلقى بعضنا

بعضا ثم لانستطيع أن نتجاوز ذلك إلى الجهر بالدعوة إلى الحق » ، ويصل من هذا كله بالدعوة للجيش (بارك الله للجيش)[١٨]

الأكثر من ذلك كله أن طه حسين حرص على أن يكون ملكيا أكثر من الملك ، ففى وقت لم تكن الثورة ولأصحاب الثورة يطلقون فيه على ماقاموا به غير (الحركة المباركة) أو الانقلاب أو (النهضة)، فإن طه حسين ينشر مقالا بعنوان (روح الثورة) يدعو فيه بشكل صريح وجهور إلى تغيير الاسم ، فليست هى حركة ولانهضة وإنما هى (ثورة) وهوما « يجب أن يطلق على الحركة (الثورة)[١٩] .

ويشارك طه حسين فى الأحداث التى تمر بها البلاد بطبيعته التى تؤثر التأييد أو الصمت الذى يعنى الرضا ، فهو يدعو إلى الجمهورية حين يبدو من رجال الثورة أنهم يريدون الجمهورية ، ويدعو إلى المناقشة حين يرى أن أصحابها يدعو فى الندوات إلى مناقشة هذا الأمر (أنا أميل شخصيا الجمهورية الأوروبية التى لايحكم فيها الرئيس ، وإنما هو رمز للدولة ليس غير)[٢٠] ، وحين تعلو نبرة الغضب على حل الأحزاب ويتم القبض على العديد من المثقفين والسياسيين يسمع صوت طه حسين مؤكدا على أن الثورة تسعى إلى (تحرير العقل)[٢١] ، وحين يطلب منه المحاضرة فى الجامعة الأمريكية يختار عنوانا معينا هو (حياتنا الأدبية والفنية على ضوء العهد الجديد واتجاهاته) مشيدا فيه بمحمد نجيب الذى كان القائد حينئذ ، وبالثورة التى (منحت المصريين أبوابا واسعة الأمان)[٢٢] ، وبهذا العهد الجديد الذى تؤلف فيه القلوب وتطمأن الأفهام .

وحين يسافر فى سفرته السنوية إلى باريس ، يرسل من هناك إلى جريدة الثورة « الجمهورية » وقد أصبح لامعاً فيها ، وتحت عنوان (من بعيد .. ثورتنا) ، مشيداً بالثورة التى رغم أنها ـ على حد قوله ـ ماتزال فى طور الطفولة ، فإنها

(أخذت تحدث فى حياتنا المصرية آثاراً خطيرة) ، ولا يلبث بعد قليل أن يبذل النصح للمثقفين ليخلصوا النصح للثورة[٢٣] .

ولا ينسى طه حسين فى كل مرة يرسل فيها من باريس مشيداً (بثروتنا) أن يرسل كذلك إمارات الشكر لـ (حكومة الرئيس جمال عبد الناصر)[٢٤] ، فى وقت كانت مصر فيه تعيش فى أجواء انتقامية ضد مثقفيها المعترضين ، والذين كانوا قد دخلوا معركة غير متكافئة تحت راية (الديموقراطية) ضد الجيش الذى كان يرفع راية (الثورة) !!

وبشكل عام ، فإن أزمة مارس ١٩٥٤ افتقدت صوت طه حسين ، فلم يعرف له أى رأى فيها ، ففى حين كانت الفترة التالية تشهد عديداً من حركات التنكيل بالمثقفين من شتى الفئات كان طه حسين يتحدث عن حرية النقد وحرية الحركة حديث مستريح البال ، فحين سأله مندوب مجلة «روزاليوسف» هذا السؤال :

ـ ينادى البعض بضرورة إطلاق الحريات العامة كافة أثناء فترة الانتقال لتدعيم الأسس الديمقراطية ، فما رأيك؟

فيجيب :

ـ لست أعلم أن حرية النقد محدودة إذا قصد بالنقد إلى الإصلاح والتوجيه ، وما أكثر ماننقد الوزراء وقادة الثورة فما نمنع من هذا النقد . وما ينبغى أن ننسى أننا نعيش الآن فى ظل ثورة من حقها ومن الواجب عليها أن تحمى نفسها[١٦] .

وعلى هذا النحو ، يقول طه حسين رأيه فى الدستور حين يعرض للرأى العام ، فلا يرى فيه غير عمل إنسانى ، فالأعمال الإنسانية ليست مبرأة من الخطأ[٢٥] ، ويدعو فى صراحة إلى إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية ، ويزدرد

أفكاراً كثيرة عن التأييد المطلق الذى يتحول إلى (مسـايرة) كـاملة للنظام حتى إنه يعود إلى الكتابة بشكل منتظم فى ذكرى الثورة كل عام تحت عنوان (يوم الثورة) .

ولنضرب مثلاً واحداً لهذا الانتظام الذى حرص عليه .

ففى العام العاشر للثورة (يوليو ١٩٦٢) يشيد بالتربية السياسية التى حرصت عليها الثورة ، يقول :

ليس من الغلو ولا من السرف أن أقول إن مصر مدينة بهذه التربية السياسية للثورة ولرئيس الجمهورية خاصة .

وطيلة سنوات الثورة، فإنه طه حسين يردد بالعقل اللاواعى، عديداً من العبارات التى كان يرددها أمام الملك ، فيرى أن الملك (مربى الشعب) ، ومن هذا مايكتبه وهو كثير ، فهو يستعيد العبارة القديمة حين يكتب عن جمال عبدالناصر فتأتى نفس العبارة وبالحرف الواحد حين يصيح مخاطباً عبدالناصر قائلاً له (انت مربى الشعب حقاً)[٢٦] .

الأدب .. لا الثورة

يلاحظ أن طه حسين رغم كتاباته السياسية الكثيرة حول تأييد الثورة ، فإنه لم يحاول أن يضم كل هذه المقالات ، أو بعضها ، فى كتاب واحد ، فى وقت راح يجمع فيه العديد من مقالاته الأدبية بوجه خاص منذ أواخر عام ١٩٥٣ لاسيما تلك التى نشرها بجريدة الجمهورية ليضمها فى كتاب بل فى كتب صدرت عنه تباعاً ، مثل كتاب (خصام ونقد) عام ١٩٥٥ ، وكتاب (من أدبنا المعاصر) عام ١٩٥٨ ، بدأ يجتر أمجاده القديمة ، فتصدر له الكتب على التوالى من جماع المقالات الأدبية القديمة ، كذلك ، من أمثال : (من لغو الصيف إلى جد الشتاء) وكتاب (خواطر) وكتاب (كلمات) وكتاب (تقليد وتجديد) ثم أعاد نشر كتابه (الأيام) الجزء الثالث لأول مرة عام ١٩٦٧ باسم «مذكرات طه حسين» وكانت قد نشرت تباعاً من قبل .

وقد يكون من المفيد الإشارة إلى أن هذا الكتاب ــ الأيام ــ بجزئه الثالث ، كان قد نشر فى مجلة (آخر ساعة) فى الفترة بين [٣٠/ ــ ١٩٥٥/٦/٢٩] وبانتظام أسبوعياً .. هذا الكتاب ، رغم مايحتويه من التشريحة الزمنية المعاصرة ، ففيه بعض الأحداث ، عن الثورة ، وكتب فى زمن الثورة ، رغم ذلك ، فإننا نفتقد فيه أية إشارة ــ ولو عابرة ــ للجو السياسى بعد ثورة يوليو ، على العكس مما نجده فى جزئيه الأولين من الأيام أيضاً ، حيث نستطيع أن نرصد من هذين الجزئين ــ لو أحسنا التاريخ والفهم العلمي ــ حركة التاريخ وملابسات الحركة الوطنية وتحولات المثقفين وما إلى ذلك فى الفترة التى تقع بين الثورتين [ثورة ١٩١٩ وثورة ١٩٥٢] .

ضد الاخوان المسلمين

بيد أن ثمة كتابين يخرجان فى الظاهر من الخط الأدبى إلى الخط السياسى ، غير أن حظهما من التصريح (أو التلميح) يفتقد تماماً فى هذا الوقت .

الكتاب الأول هو (هؤلاء هم الإخوان) ، ويتضمن مقالة سياسية لطه حسين كتبها ضد الإخوان إبان محنتهم .

والكتاب لم يكن من نشر طه حسين ، وإنما كانت الدولة تقوم إبان أزمتها مع الإخوان بعد عام ١٩٥٤ بجمع عدة مقالات ثم ضمها فى كتاب واحد ضمن حملتها العنيفة على الإخوان المسلمين ، وكان اسم طه حسين هو أول الأسماء فى هذا الكتاب ، وكان لطه حسين مقالتان عن الإخوان وهذا لم يكن مصادفة .

الكتاب الآخر ، هو بعنوان (العدوان الثلاثى على مصر) ولم يكن فى قصة نشره وإخراجه للناس ليزيد عن الكتاب الأول إبان العدوان الثلاثى على مصر .

ويجب الإسراع هنا بالقول إن هذين الكتابين يدخلان ــ مهما يكن طريقة إخراجهما ــ من باب الدافع الذاتى ويدخلان إلى باب التأييد وأسلوب المهادنة ، فكتابة مابهما ــ من الأصل ــ كان بقصد الوقوف إلى معسكر النظام ، حتى ولو اتفقت الغاية عند كل منهما .

فبدهى أن الكتاب الأول بوجه خاص عن الإخوان كان بقصد محاربة معارك النظام وليس تأييده فقط .. بدليل أن الترتيب العشوائى الذى نجده على غلاف كتاب الإخوان ــ على سبيل المثال ــ يرينا أن اسم طه حسين أول هذه الأسماء ويطرز جنباً إلى جنب مع أسماء أخرى لا يخلو ذكرها من معنى : محمد التابعى ، على أمين ، كامل الشناوى ، ناصر الدين النشاشيبى ، جلال الحمامصى وغيرهم ، بما يشير أن طه حسين وقد أصبح الآن مسايراً للنظام ، فإنه قد وضع (بدون تدبير) فى خانة المثقف (المهادن) ..

كان تصنيف طه حسين ضمن هذه الأسماء يأتى تصنيفاً عفوياً ، أو هو من قريب التصنيف الطبيعى الذى نتج عن انتخاب الواقع السياسى لاصحافة من بين المثقفين والمؤثرين فى الرأى العام .

وهو مايقترب بنا ، أكثر ، من موقف طه حسين من الإخوان .

فتى السوربون الليبرالى

إن موقف طه حسين من الإخوان بوجه خاص ، ورجال الدين بوجه عام ، يعود بجذوره إلى العشرينات ، بعد أن عاد طه حسين من السوربون فتى متحمساً ، يؤمن بالفكر الليبرالى ، ويقسم أن ثمة فارقاً أكيداً بين الدولة والدين ، وقد أغضب منه حينئذٍ : اثنين : الملك ورجال الدين ، لاسيما حين نشر كتابه (فى الشعر الجاهلى) .

ومن حاصل المعارك التى عاشها واكتوى بنارها فى الثلاثينات زاد بغض طه حسين لرجال الدين ، غير أن هذا البغض الآن ـ فى الخمسينات ـ كان يجد له مناخاً صالحاً ، لا ليهاجم ممثلى الدين وحسب من الإخوان ، وإنما ـ كذلك ـ ليرضى الحكام الجدد الذين كانوا قد دخلوا صراعاً حاداً بين إصرارهم على الحكم وإصرار الإخوان على سلب الحكم منهم .

لقد كان صراعاً سياسياً فى المقام الأول ..

ونكاد نجزم أن السبب الرئيسى الآن لتوجه طه حسين إلى الإخوان وشن عليهم هجوماً عنيفاً كان لموالاته للسلطة وإيثاره رضاها أكثر من بغضه لهم وحنقه عليهم .

فعلى أثر حادث المنشية فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ ، وفيها اتهم الإخوان باغتيال عبد الناصر ، سعى النظام للقضاء على الإخوان سياسياً وفكرياً ومن أساليبه المؤكدة الاستعانة بممثلى الدين والمثقفين فى خوض هذه المعركة ، أى حاول رجال الثورة محاربة الإخوان بسلاحهم .

وقد وجدت الأقلام ساحة واسعة فى (أخبار اليوم) ليهاجموا الإخوان

بشكل حاد ، وفر لهم النظام المناخ ، ومنحهم سيوفاً حادة فى مقابل رجال أشباح ، لم يوجدوا إلا داخل السجون ..

لقد وفرت الساحة ، وأعدت السيوف ، واختير الفريق المنتصر سلفاً ، لسبب واحد ، هو ، أنه الفريق الوحيد القوى فى ساحة اللعب .

ويمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ، فنرى أصحاب مدرسة (أخبار اليوم) ونستطيع أن نضم إليهم بعض المثقفين الذين كانوا يكتبون أو يستكتبون (سيان) فى (الجمهورية) ، صحيفة النظام .

إن هؤلاء وأولئك كانت بينهم وبين النظام صفقة غير مكتوبة ، وغير معلنة ، هدفها العام القضاء على الخصم ...

ولم يكن الخصم ظاهراً فى المساحة الشاسعة .

لذلك ، كان الانتصار باهراً وقاضياً .

ولنعد إلى محاولة اغتيال عبد الناصر ، فما كاد يمضى يوم أو يومان ، حتى كانت تلقى الخطب العصماء ، ويعلن بعض مثقفى التيار الإسلامى المنشق عن الإخوان تأييدهم للنظام ففى جامع (شركس) وقف محمد الغزالى ليهاجم الإخوان ، كما وقف بجانبه الشيخ الباقورى ـ الذى كان يؤثر الآن جانب السلطان ـ يهاجم كذلك هؤلاء الخارجين على النظام (الثورة) .

فى هذا الوقت ، تنشر جريدة (الجمهورية) بقلم أحد كبار محرريها ـ طه حسين ـ مقالاً بعنوان (فتنة) يهاجم فيه (مؤامرات) الإخوان التى لا تخلو من العنف والشعوذة والغدر ، والمقالة طويلة ، لا تخلو كلمة منها من التعاطف الشديد مع عبد الناصر ونظامه ، والبغض الشديد للإخوان ولمؤامراتهم البشعة ، ونستطيع أن نعرف درجة البغض للإخوان والرضا لعبد الناصر من هذه الفقرة التى نقرأها فى نهاية المقال ، يقول :

ـ أما بعد، فإنى أجدد التهنئة مخلصاً لرئيس الوزراء (هو جمال عبدالناصر) ولمصر العزيزة بالنجاة من هذا الشر العظيم [٢٧] .

وتتوالى كتابات طه حسين بعد ذلك ، فيكتب عدة مقالات لعل من أهمها مقالة بعنوان (رخص الحياة) يقارن فيها بين هؤلاء الذين ترخص الحياة لديهم وأصحاب هذه الثورة التى قامت منذ عامين بواسطة الجيش الذى يملك على حد قوله :

«من وسائل البأس والبطش مايغرى بإزهاق النفوس وسفك الدماء ولكنه يملك نفسه ويملك يده فلا يزهق نفساً ولا يسفك دماً ولا يأتى من الشدة إلا من يمكن تداركه»[٢٨] .

ولا يلبث بعد قليل أن يرسم صورة أخرى ، مناقضة للإخوان حين يقول :

هذا عن الإخوان ، فماذا عن الملك ..

انقلب على الملك بعد أن كان مؤيداً له

إن موقفه من الملك هو موقف المؤيد للثورة ، ومن ثم ، المنقلب على ملكه الذى كان مؤيداً له من قبل تأييداً مطلقاً .

من المؤكد أن علاقته بالملك قد دفعته ، كأكثر معاصريه إلى الهجوم على العهد (البائد) كما كان يطلق عليه حينئذ أشد الهجوم .

ولا بأس من أن نشير إلى أن علاقته بالملك كانت علاقة وثيقة قبل أن نصل إلى رأيه الآن، الذى يعلنه للابد إن رحل الملك بدون عودة .

لقد كان أكثر المادحين الملك فاروق لاسيما فى بداية الخمسينات حين قدر له أن يصبح وزيراً فى آخر وزارة وفدية ، ولا نريد أن نعود إلى كثير من الخطب التى ألقاها أمامه (يوجد تفصيل مسهب فى كتابنا : طه والسياسة) ، وحسبنا أن نشير إلى أن الملك لفرط فرحه من لهجة التعظيم والثناء التى أطلقها طه حسين فى حضرته مالبث أن صاح فى إحدى المرات ـ كما تؤكد قرينة طه حسين ـ قائلاً (أشكرك ياباشا) بما يعنى أن الملك أنعم على وزيره بلقب (الباشوية) ، كذلك ، فإن العديد من المصادر الحية تؤكد على أن طه حسين أقدم على (تقبيل) يد الملك رغم أن أكثر من ثلاثة وزراء فى وزارة الوفد الأخيرة رفضوا هذا التشريف .

على أية حال ، فإن طه حسين قلب الآن ظهر المجن لمليكه القديم وعهده (البائد) ، وراح فى أكثر مقالاته أو أحاديثه الجديدة يهاجم الملك وعهده وحاشيته ، ذلك العهد ، الذى سام مصر النفاق للملوك وحواشى الملوك والمتصلين بهم ، ولم يلبث أن هاجم الألقاب الكثيرة للملوك منذ عصر محمد على ذاكراً العديد من هذه الألقاب[٢٠] ليدل بها على هذا العهد .

ورغم أن إسراف طه حسين فى النفاق للعهد القديم ومليكه يقابله ـ من طه حسين ـ إنكاراً بعد ذلك ، فإنه حاول الارتداء على ذلك حين أنكر ما فعله

قبلاً ، مبرراً هذا بأنه لم يكن يقول للملك ما قاله أو يقبل يده إلا لتحقيق أحلامه فى التعليم .

ورغم أن كثيرين من ممثلى العهد القديم راحوا يذكروا مواقف طه حسين المستهجنة من الملك ، فإنه أحدهم ـ حسن يوسف رئيس الديوان الملكى بالنيابة ـ راح يعدد لى الكثير من المواقف التى تؤكد على تهافت طه حسين ، وإن لم يلبث أن حاول أن يبرر له ذلك ، بأنه كان مضطراً إلى ذلك فى اطار الظروف التى عاش فيها ، ولما كان الملك يملك من المنح والمنع ما يستطيع به أن ينال من أى إنسان (هكذا يقول) فإن طه حسين ، لم يزد على أن يكون (إنساناً) .

والإنسان دائماً ـ كما يردد ـ ضعيف ..

والواقع ، أننا نستطيع أن نذهب بعيداً مع من يبرر هذا الموقف لطه حسين ، غير أن درجة النفاق حين تصل إلى طور التنازل عن كرامة الإنسان أو على قدر كبير منها (فضلاً عن الإنسان المثقف) ، فإنها لا تستطيع أن تهب لنا راحة الغفران .

كان يمكن أن يغفر لطه حسين خطبة أمام الملك لو أن ذلك ظل فى إطار مقبول ، أو أمر اضطرارى ، لكن أن تزداد درجة الزلفى إلى أقصاها فى وقت يستطيع فيه صاحبها أن يتفاداها ، فإن ذلك لايمكن أن يبرر بأيه حال .

وقد تصل هذه العلاقة بين المثقف والحاكم إلى درجة من الزلفى يمكن عندها تحديد السرف أو الاعتدال ، غير أن الإغراق فى إهانة الذات تحت أية حجة ، مهما تكن ، لا يصبح مقبولاً قط .

كما لا نستطيع ـ فى هذا السياق ـ أن نقبل رأى المثقف الذى يقدم الكثير

من التنازلات ، وبعد أن يمضى عصر التنازلات يعود ، ليؤكد ، فى براءة الأطفال ، أنه كان فاقداً الوعى .

ففقدان الوعى فى أى عصر لايمكن أن يشفع له خاصة حين يجىء صاحبه بعد انقضاء هذا العصر ليشير إلى أن (الوعى المفقود) أصبح الآن (وعياً عائداً) .. وأمامنا الأمثلة التى لاتنتهى (أبرزها توفيق الحكيم صانع الأقنعة) .

ولنعد إلى طه حسين مرة أخرى ، إذ حاول أن ينفى رأى خصومه حين اتهم ـ فى عهده الثورة ـ وأثناء المحاكمات التى أقامها النظام لخصومه ـ كمحكمتى الشعب والثورة ـ فقال راداً على من اتهمه بكل هذا النفاق قولاً يشبه رد صاحب (عودة الوعى) .

ولن نشير إلى الاتهامات التى وجهت إليه فى عديد من الصحف فى السنوات الأولى من الثورة ، أو تلك التى راح عديد من المحامين فى محكمة الثورة يرددونها ضد طه حسين ، ولكننا ـ إمعاناً فى توخى الحيدة ـ سوف نورد بعض دفاع طه حسين على تهالكه على الملك وعصره .

يقول طه حسين يبرر أو يحاول أن يبرر تهاونه المهين لملك فاسد :

١ ـ إن الوزراء ماكانوا ليخطبوا أمام فاروق ليعيبوه ويذموه ، ويدلوا الناس ويدلوه على ماكان يتورط فيه من طغيان .

٢ ـ إنه فعل مافعل للملك ليكسب بهذا الموقف لمصر وأهلها فائدة كبيرة مما أتاح لهم التعليم ويسر لهم أمره .

٣ ـ إن كلامى عنه لم يتجه إلى فاروق فى نفسه قليل أو كثير وإنما اتجه كلامى إلى هذا الملك الذى صورته لنفسى وللناس تصويراً .

هذه عينة من دفاع طه حسين وردت فى صحف الأخبار والمصرى ، ورددها فى روزاليوسف[٣١] ليبرر به تهاونه وتهادنه مع النظام السابق الذى ما إن

سعى لمهاجمته حتى كان قد انقلب عليه أو استخدم كل مالديه من سهام للنيل منه .

وهذه العينة من الدفاع لاتبرر لمثقف كبير مثل طه حسين هذا الموقف ، وبخاصة أنه كان يملك قدراً هائلاً ـ كما أشرنا سلفاً ـ من التمرد لايمكن أن يهبط به صاحبه إلى أن يصبح متهاوناً ومتهادناً مع نظام جديد ، وقد أسهبنا فى هذه القضية فى كتابنا سالف الإشارة إليه بما يكفى لنتوقف هنا .

ولنصل الآن إلى صورة أخرى ...

طه حسين والقوى الأجنبية

وما يقال عن موقفه من العهد (البائد) أو (العدوان الثلاثى) يمكن أن يقال كذلك عن موقفه من القوى الأجنبية ، وبوجه خاص ، من الخطر الأمريكى ، الذى راح يسعى للسيطرة على مقدرات الشعوب العربية وفى مقدمتها مصر .

ويمكن أن نرى هجومه الدائب والمستمر ضد الإنجليز ، فهذا يأتى فى السياق الوطنى الذى التزم به منذ حقبة طويلة وحتى هجومه العنيف على الإنجليز فى السنتين الأوليين للثورة ١٩٥٣/٥٢ وحتى اتفاقية الجلاء أو حرب ١٩٥٦[٣١] ، غير أن موقفه من الخطر الأمريكى كان محيراً تماماً ، وإن بدا متسقاً مع موقف النظام مع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية .

كما لا يبرر إلا فى هذا السياق .

ويجب المسارعة بالقول هنا أن هذا الموقف من طه حسين لم يكن متسقاً مع موقف النظام وحسب ، فمن الانصاف لطه حسين أن نقرر كان ينطلق ـ كذلك ـ من سماحة فكرية تجعله يدعو دائماً للانفتاح على الثقافات العالمية ، ومنها الثقافة الأمريكية بالطبع .

إنه لم يستطع أن يربط بين الثقافة الأمريكية وأطماع الأمريكيين ، وهى أطماع إمبريالية لم تكن لتخفى حينئذ على من يراقب الساحة الدولية ، ومع أن طه حسين كان لديه من (الوعى) ، فى السابق ، للفصل ، بين الحضارة الفرنسية والاستعمار الفرنسى ، فى الأربعينات ، فإن هذا الوعى (الحالى) لم يعد قائماً بعد الثورة .

وهنا يقام العامل الأول ويسقط العامل الآخر ..

أن تغفل عن خطر عدوك فى وقت تحسن النية فيه ، فإن هذا إغفال لطبيعة هذه القوى الصاعدة والتى كانت فى طريقها لترفع ذيلها الطويل بعد أن قطع ذيل الإمبراطورية الإنجليزية أمام إصرار الشعوب الحرة .

ورغم صعوبة هذا الاقتناع ، فإننا لا نملك أنفسنا من القول بأن طه حسين فى سعيه لتأييد الثقافة الأمريكية (دون خطرها) إنما كان يؤيد توجهات ثورة يوليو فى هذا الوقت ، حيث كان ضباط (القيادة) فى سكرة الاهتمام الأمريكى بالثورة ، وفكرة قبول تعهدات الأمريكيين بالقضاء على العهد القديم لإفساح طريق جديد أمام العهد الجديد من أجل الإصلاح والاستقلال السياسى .

وهذا الموقف المؤيد لاتجاه الثورة (والمتضمن قبول الخطر الأمريكى) يؤكده عامل آخر ، يمكن الإشارة إليه ، وهو يتمثل فى خوف طه حسين من (الحكومة العسكرية) ، فمن العدل أن نذكر هنا الاثنين : الرغبة فى تأييد النظام والخوف منه فى آن واحد ، ومن حاصل العاملين (الرغبة والخوف) نستطيع أن نصل إلى تفسير واضح لتأييد الولايات المتحدة فى هذا الوقت .

ومع أن العنصرين (الرغبة والخوف) يمثلان عنصراً واحداً فى حالة التفاعل على الطريقة الكيمائية فى تفسير موقف المثقف ، فمن الأفضل أن نقف برهة أمام عنصر الخوف قبل أن يذوب فى حامض الواقع .

حلف بغداد

لأن طه حسين كان مؤيداً للنظام الجديد ، فقد كان لابد أن يحارب معاركه مرة بعد مرة .

ومن هذه المعارك التى اضطر إليها المعركة حول (حلف بغداد) .

لقد قامت ، منذ فترة مبكرة ، هذه المعركة بين الثورة وأعدائها فى الخارج ، ففى أوائل عام ١٩٥٥ اشتد النزاع بين جمال عبد الناصر فى مصر ونورى السعيد فى العراق ، وكل النزاع يتمثل أساساً فى (حلف بغداد) هذا الحلف التى أرادت القوى الغربية فرضه على مصر وجرها إليه لتدور فى فلك الغرب ، وقد نجحت فى استمالة نور السعيد إليه أكبر قوة عربية خارج مصر .

كان عبد الناصر معارضاً لهذا الحلف بينما نورى السعيد مؤيد له .

فى هذه الفترة طلب صلاح سالم من المسئول عن إذاعة (صوت العرب) أن تشترك هذه الإذاعة ذات الترددات البعيدة فى أنحاء الوطن العربى ، وأن يكون ذلك خلال الاستفادة بالمثقفين المرموقين لزيادة كفة الإعلام المصرى فى هذا الصراع ، والتأثير به فى هذا المعترك .

وبالفعل ، بادر أحمد سعيد ـ بأمر من صلاح سالم ـ باحصار طه حسين (مع غيره) إلى صوت العرب ، وبالفعل ، جاء طه حسين ليلقى عدة أحاديث (وليس تعليقات) تهاجم نورى السعيد وحلفه فى حماس شديد .

ومراجعة أحاديث طه حسين فى إذاعة «صوت العرب» ترينا أن طه حسين ردد فى أحاديثه أفكار جمال عبد الناصر فى هذا الوقت حول وظيفة هذا الحلف ، الذى يمكن أن يجزىء العالم العربى إلى شظايا ، وفى الوقت نفسه يعمل على عزل مصر عن العالم العربى وهو ما تريده قوى الاستعمار الغربى ..

وقد كان هذا يعنى ـ مازال التحليل لطه حسين ـ أن تترك مصر وحدها أمام القوى المعادية لها وفى صفوفها إسرائيل .

ولم يكن طه حسين وحده فى هذه المعركة ، وإنما كان معه كذلك ، عدد آخر من المثقفين الذين قبلوا (التعاون)[٣٢] مع الثورة مع أمثال عباس العقاد وفكرى أباظة ومحمد عوض محمد وأحمد بهاء الدين وغيرهم .

لم يكن التعاون مع الثورة حينئذ عيباً «انظر ردنا على خالد محمد خالد فى عدد الإذاعة والتليفزيون فى ٨ يوليو ١٩٨٩ » ، لكنه كان أمراً واقعاً انصاع إليه طه حسين دون أن يلجأ أحمد سعيد إلى الحكومة العسكرية ليعلن رفض هذا المثقف أو ذاك ، ولم يكن التعاون مع الثورة تعارضاً مع أفكاره حينئذ ، فقد كان مؤيداً صريح التأييد للعهد الجديد، متعاوناً ومهادناً إلى أبعد الحدود .

ونستطيع أن نعثر على عديد من أفكار طه حسين وأحاديثه فى صوت العرب بوجه خاص ، وهى كلها لا تتردد عن محاربة معارك الثورة أو التعاون معها ، وهو مايمكن العثور أيضاً (ويحتاج إلى دراسة مقارنة) فى الندوات التى كانت تقام من آن لآخر ويدعو فيها المثقفين ويرصد فيها هذا الرأى أو ذاك .

إن أصول الخوف لدى المثقف المصرى يعود ليخترق السنين إلى الوراء ، وهو خوف يتوالى ، وبدرجات متفاوتة فى أعماق كل مصرى يسكن هذا الوادى حيث (المركزية) تطبع كل شيء بطابعها .

ويمكن العود إلى كثير من التفاصيل عند كارل فتفوجل فى أطروحته عن النمط الآسيوى فى الإنتاج(*) .

ولنأخذ مثلين من التاريخ لندلل بهما ـ عرضاً ـ على عقدة الخوف ..

ففى العصر الفرعونى(**) كان النهر هو الحياة ، وكان صاحب النهر هو الاله

ـ الإنسان، أى الملك، ومن كان يملك النهر كان يملك ـ بهذا المنطق ـ الحياة،

ومن هنا ، فإن السيطرة على النهر تستلزم قوة ، والقوة تنسج شبكة واسعة من العلاقات التى تشير فى نهاية الأمر إلى العلاقة بين الاثنين : الحاكم والمحكوم.

وتتوالى الحقب، ويتبلور الموروث القمعى لدى المحكوم فيما يمارسه الحاكم ، الاله ضده ، سواء أكان فى العصر الفرعونى أو العصور الأجنبية الأخرى التى توالى فيها شرائح التاريخ المصرى .

أما فى العصر العثمانى ـ هذا هو المثل الآخر ـ فإن المثقف كان ما يزال يحمل فى داخله موروثاً قمعياً حيث علاقات سياسية وإقتصادية وفكرية معينة تحتم على المثقف أن يظل فى الحجم الذى وضع فيه ، وهو الحجم الذى يعود إلى اعتقاد العثمانيين أن عالمهم أفضل العوالم ، إذ عملوا على منح عمليات القهر والإرهاب ، التى وجهوها ضد المسحوقين من الأتراك ومن العرب ومن الفئات الأخرى ، طابعاً شرعياً .

وعلى هذا النحو ، تكونت العلاقة بين السلطة وبين المثقفين ، لقد كان على هؤلاء أن يندمجوا فى النظام القائم ، وكذلك أن يدافعوا عنه ويجعلوا من أصواتهم وأقلامهم أدوات تكريس له .

لقد أصبح المثقف من جديد يحمل موروثاً قمعياً يمتد من العصر الفرعونى ، ويمر بعديد من العصور حتى وصل إلى العصر الحديث .

وقد استطاع طه حسين أن يتمرد على هذا (الموروث القمعى) إلى حد كبير فى النصف الأول من هذا القرن حيث كانت الحكومة (دستورية) ، أما حين استبدل (بالاجراءات الدستورية) هذه (الاجراءات الثورية =العسكرية) على يد قادة يوليو ، فإذا بالمثقف لا يجد مندوحة من السقوط إلى سفح التأييد فقاعه البعيدة .

وربما كان أبلغ وصف للتعامل مع الحكم العسكرى هو الوصف الذى أطلقه طه حسين نفسه فى معرض تحذير بعض المتمردين فى هذا البعض من الوقوف فى مواجهة هذا الحكم العسكرى ، لقد قال طه حسين هذه العبارة (من أحمق الحمق أن نتحامق على حمقى) ، ومن ثم آثر عدم (التحامق) وإنما أن يكون مرناً ، ويتلمس - كما نصح مصطفى النحاس إبان صراعة مع ضباط القيادة - (الملاينة) فى التعامل معهم .

على أن هذه المرونة أو تلك الملاينة هما اللتا أسقطتا طه حسين إلى فقدان الوعى ، وهذه المساحة بين الوعى وفقدانه تفسر المعركة التي نشبت حينئذ بينه - كأحد المثقفين الرواد - وبين بعض مثقفى الجيل التالى له مباشرة مثل عبد الرحمن الشرقاوى الذى رأى فى طه حسين تقاعساً فى فهم مايحدث من الجانب الأمريكى الماكر ، متهماً إياه بأنه «يمتدح بعض المشروعات الثقافية فى وقت كان يراها غيره غطاء لأهداف سياسية استعمارية»[٣٤] .

وهو فى النهاية فقدان للوعى بين عدد كبير من ممثلى هذا الجيل .

عود على بدء

والآن ، هذا هو المثقف .

فبعد أن كان متمرداً معارضاً أصبح مؤيداً مهادناً .

فى المرة الأولى كان طه حسين .

وفى المرة الأخرى كان (ضد) طه حسين .

لقد رضى أن يتحول من المثقف (العضوى) بتعبير جرامشى ، التابع لطبقة اجتماعية سابقة على الثورة إلى مثقف من نوع المثقف (التقليدى) ، الذى ترك تراث طبقته السابقة ومعتقداتها ليتعاون (هذا هو اللفظ الأثير للنظام الجديد) .. مع ثورة يوليو .

وقد نجح النظام الجديد، دون جهد كبير ، فى السيطرة على طه حسين وإدماج فكره فى (الأيديولوجية) الجديدة له ، وذلك من خلال استمالته مرة ، وتحقيق أحلامه الاقتصادية مرة أخرى ، فأصبحت مصلحته تتوافق مع مصالح الطبقة المسيطرة ، وتحول ـ دون أن يشعر ، أو حتى يشعر ـ إلى مثقف السلطة .

وليس معنى ذلك أن فكر طه حسين كان يختلف عن فكر النظام الجديد، وإنما كان يتفق معه (مثل أغلب المثقفين حينئذ) لاسيما فى الفترة الأولى منه ، إذ أن راديكالية طه حسين دفعت به إلى أن يقف فى صف الثورة سواء فى الجانب السياسى أو الاجتماعى ، غير أن طبيعة العلاقة الحادة بين النظام الجديد (والسياسيين) والمثقفين من النظام الجديد خاصة ، دفعت بالثورة إلى عدة ممارسات كانت كافية ليختلف فيها الطرفان .

وفى الوقت الذى شهدت السنتان الأوليان مراحل الصراع بين العسكريين والمثقفين ، فإن الصراع بالنسبة لطه حسين لم يكن أكثر من سطح نهر لم يؤثر موجاته فيه ولا فى المصير الذى انتهى إليه ، ففى الوقت الذى اتخذ فيه المثقفون موقفاً حاداً مع الثورة ، فإن طه حسين لم يكن قط فى المعسكر المعادى للعهد الجديد بل أصبح من أقطابه ومن أكثر المدافعين عنه .

وعلى هذا النحو ، فإن طه حسين لعب دور (موظفى الدولة) الذين يستطيعون أن يدافعوا عن النظام ويحاربوا معاركه ، وعدا فكره الاجتماعى الذى لم يستطع أن يعمقه حينئذ ، نجحت الدولة فى استيعابه و(كسبه أيديولوجياً) .

وبدلاً من أن يوالى طه حسين أفكاره السياسية مع الدولة أو ضدها ، أصبح يردد فكرها بل ينتج أيديولوجيتها

وفى ضوء هذا ، لم يكن من المصادفة أن نجد طه حسين يقف جنباً إلى جنب مع المدرسة الانتهازية التى مثلها أحسن تمثل «حينئذٍ» الأخوين آمين فى (أخبار اليوم)، فلم نعثر على كتابات طه حسين، اللهم إلا ، فى صحيفة «أخبار اليوم» ، ومجلاتها : آخر ساعة والجيل .. كما لم نعثر على كتاباته إلا فى صحيفة (الجمهورية) صحيفة النظام والمعبرة عن سياسته ، ولا مانع بعد ذلك من الكتابة ـ لاسيما بعد أزمة ١٩٥٤ ـ فى صحف النظام ومجلاته : أخبار اليوم ، الأهرام ، الرسالة الجديدة ، روزاليوسف ، مجلة اللغة العربية ، مجلة الإذاعة والتليفزيون، مجلة الثقافة .. الخ .

وظلت مواقف كثيرة تفتقر إلى رأى طه حسين ، اللهم إلا إذا كان فيها محارباً بسيف النظام، ومعبراً عن أفكاره .

إن طه حسين لم يتحدث ، قط ، عن جوهر أزمة ١٩٥٤ التى آثر أن

يتحدى المثقفون فيها (تحت راية الديموقراطية) العسكريين تحت راية (الثورة)، وهو ، تحد وهمى .

وطه حسين لم يرفع صوته للتعبير عن حملات التعذيب فى المعتقلات ، والتى راح ضحيتها الكثير من المناضلين داخل السجون ، سواء من التيار اليسارى أو التيار الإسلامى .

وطه حسين لم يتحدث ، قط ، عن تجربة مصر الاشتراكية ، والتى كانت فى الستينات قد دخلت مرحلة التنفيذ والتجريب ، الصواب والخطأ .

وطه حسين لم يعلن رأيه قط فى قضية مثل تحديد الملكية أو تأميم وسائل الإنتاج رغم أفكاره الراديكالية القديمة ، بل راح فى عديد من القضايا التى تبنتها الدولة يؤيدها أكثر من أصحابها مثل قضية الإصلاح الزراعى .

وطه حسين لم يناقش ـ كتابياً ـ قضية اتجاه النظام الجديد إلى سياسة عدم الإنحياز ، كما عاصرها وعرفها ، وهى سياسة تحدد خطى مصر فى هذا العالم .

وطه حسين لم يبد رأيه فى أزمة مثل (أهل الثقة وأهل الخبرة) ، والتى استمرت طيلة الخمسينات وامتدت آثارها إلى الستينات ، بل وحتى الآن، وما تمخض عنها من إيثار الكليات العملية والتقنية على حساب الكليات الإنسانية والأدبية ، والآثار التى يتاثر بها الإنسان المصرى إزاء ممارسة هذه السياسة .

وطه حسين لم يبد رأيه بصراحة فى أزمة مثل (هزيمة ١٩٦٧) وبخاصة أنه شاهدها وتأثر بها وأحس ـ مثلنا ـ بالمرارة لفقد أجزاء هامة من أوطاننا العربية تحت ربقة العدو الصهيونى .

كل هذا، وغيره لم يشر إليه طه حسين أو ـ حتى ـ يقترب منه قط . ومن هنا ، فإنه لم يعد يدافع عن القضايا التى وهب حياته لها ، ومن ثم أصبح طه حسين (ضد) طه حسين .

[وثـــــائق]

صورة : من التحقيق مع طه حسين بعد إهانة سعد زغلول

فتح المحضر فى يوم ٧ يونيه ١٩٢٤ ـ مصر ـ الساعة ١٠ أفرنكى صباحاً حضر طه أفندى حسين لسبب تحديدنا هذا اليوم للتحقيق ونبهنا عليه بالحضور فى هذا الميعاد .

وقد حضر معه الأستاذ كامل أفندى حسين ومحمد أفندى عزيز أباظة وسألنا طه أفندى حسين فأجاب :

اسمى طه حسين سنى ٣٥ سنة أستاذ بالجامعة المصرية ، وساكن بشارع رمسيس بمصر الجديدة .

ـ علمت النيابة أنك ممن يكتبون فى جريدة السياسة ولك فى تلك الصحيفة مقالات بانشائك واملائك فهل هذا صحيح .

ـ لا أجيب ..

ـ أنت ملزم بالإجابة لأنه فى تلك الصحيفة أو الجريدة مقالات مشتملة على جرائم والنيابة جارية التحقيق فيها فيجب عليك أن تجاوب لأنه عدم إجابتك يعتبر من القرائن الكبرى على إجرامك .

ـ لا أجيب .

ـ كتبت فى جريدة السياسة المقالات الآتية :

(لمن الحكم اليوم لماذا نهدد سعد باشا إذا ، عدلت خطبة العرش ، جريدة الانتخاب وحيدة الحكومة ، العهد يعد الصحف ، هلموا ياأنصار الحرية ، القصور أم التقصير ، سياسة الحكومة الاقتصادية ووكلاء الوزارات البرلمانيون ـ وزارة الشهدات لا وزارة الشعب ـ فترة الفوضى ، تبذير

الحكومة الحاضرة ، خطبة العرش وتدخل الإنجليز فيها ، التعيينات القضائية خصم بين رجال العدل ، عبث بالحرية يوم عيد الحرية ، الوفاء بالعدل ، خطاب العرش والسودان ، تقدير ، يعبثون بالروح الدستورية بتهديد الوزارة بالاستقالة ، فلتحى الحرية ، ثروت أسعد ، موت ضعيف) ..

فهل أنت المنشيء لتلك المقالات أو الواحدة منها أو لبعضها ؟

ـ لاأجيبك .

ـ بلغ النيابة أنك تكتب بعض تلك المقالات وفيها جرائم قذف وإهانة وعدم إجابتك يعتبر دليلاً على اجرامك .

ـ لاأجيبك ولا عندى غير هذا الجواب ولن يكون عندى غير هذا الجواب .

ـ وكيف لاتجاوب وأنت متهم .

ـ لاأجيبك .

ـ ألم يكن لك أى علاقة بجريدة السياسة .

ـ لاأجيبك .

ـ هذه طريقة ليس من صالحك التمادى فيها وأنت ملام قانوناً بالجواب .

ـ لاأجيبك .

ـ ماهو السبب الذى يجعلك لاتجيب .

ـ لاأجيبك .

ـ عدم إجابتك تدل على أنك المنشيء لتلك المقالات أو بعضها وكلها فيها جرائم قذف وإهانة للوزارة والحكومة .

ـ لاأجيب .

ـ عدم إجابتك دليل على ثبوت التهمة عليك وأنت تختفى وتتوارى من عقاب القانون فهل لم تنشيء ولم تمل شيئاً من تلك المقالات .

ـ لاأجيب .

تمت أقواله ..

وقفل المحضر على ذلك فى تاريخه حيث كانت الساعة ١١ أفرنكى صباحاً .

الكاتب　　　　　　　　　　　　رئيس النيابة

هذه الصورة طبق الأصل　　　　　　رئيس القسم الجنائى

محمد صالح　　　　　　　　　　　(إمضاء)

(أمضاء)

وقد جاء هذا الخطاب إلى (حضرة المعالى النائب العمومى) .

نرسل لمعاليكم صورة طبق الأصل من محضر تحقيق النيابة المؤرخ ٧ يونيو ١٩٢٤ ضد الشيخ طه حسين المدرس بالجامعة المصرية فى القضية المتعلقة بإهانة حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا .. وصورة طبق الأصل أيضاً من محضر انتقال النيابة لوزارة المعارف العمومية المؤرخ ٢٩ يونيو ١٩٢٤ فى أثناء تحقيق القضية المذكورة .

من اطلاع معاليكم على صورة محضر تحقيق ٧ يونيو ١٩٢٤ تجدون أن الشيخ طه حسين لم يجاوب على أى سؤال من الأسئلة التى وجهتها النيابة إليه وأصر على عدم الإجابة حتى لاتصل النيابة إلى الحقيقة .

وقد ظهر من محضر إنتقال النيابة إلى وزارة المعارف أن الشيخ طه حسين قدم طلباً إلى مجلس إدارة الجامعة المصرية التى هو موظف فيها للتصريح إليه بأن يشترك فى تحرير جريدة السياسة ، وقد صدر القرار من مجلس الإدارة بأن المجلس لايرى الحجر على أى من حضرات المدرسين أن يكتب فى الصحف وغيرها بالمسائل السياسية والعلمية كما تريد .

وحيث إن عدم إجابة الشيخ طه حسين النيابة على ماسألته عنه من أنه ممن

يكتبون فى جريدة السياسة مع ماظهر على أنه يكتب بالفعل فى تلك الجريدة وإنه يخفى هذه الحقيقة على المحقق .

وحيث إن هذا لايليق صدوره من موظف لذلك .

نقدم لمعاليكم هذا التقرير مع تلك الأوراق لمخابرة وزارة المعارف للنظر فى أمره ..

القاهرة فى ٧ يوليو ١٩٢٤ الموافق ٤ ذى الحجة سنة١٣٤٢ .

رئيس نيابة مصر

(إمضاء)

عرض على معالى الباشا

ختم النائب العمومى

٨/٢٧٣ يوليو ٢٤

وقد جاء فى مذكرة مجلس إدارة الجامعة فى ١١ أكتوبر ٢٢

لايرى المجلس الحجر على أى من حضراتهم أن يكتب فى الصحف وغيرها فى المسائل السياسية والعلمية كما يريد مادام هو حراً مختاراً فى انتخاب الموضوع والزمن الذى يكتب فيه) .

فى ٦ يوليو ١٩٢٤

وقد ورد فى الملف الخاص بطه حسين رسالة إليه لوكيل الجامعة المصرية حيث يطلب طه حسين الاذن ، فجاء قرار وكيل الجامعة :

(إنى أرى أن مصلحة الجامعة لاتتفق مع اشتغال أساتذتها رسمياً فى التحرير السياسى لجرائد الأحزاب ومنها جريدة السياسة ، وأرى أن يتفرغ أساتذة الجامعة لما تعلموه من علم وأدب لتكون الجامعة لخدمة العلم) .

الأمضاء

كامل إبراهيم

١١ أكتوبر ١٩٢٢

وقد أرسل وزير المعارف العمومية (محمد سعيد) خطاباً إلى سكرتير الجامعة المصرية بتفهيم طه حسين بعدم العمل فى جريدة السياسة و (أخذ كتاب عنه ومن كل موظف بالجامعة بما يفيد إطلاعه على النصوص المتقدم ذكرها ووجب اتباعها) .

ويضيف ..

(هذا وأنا لا نرى مانعاً من أن يكتب من يريد منهم فى المواضيع العلمية) .
فى ٢٤/٨/١٣

فى أكتوبر ١٩٢٥ يرسل وزير المعارف العمومية إلى وزير المالية يشير إلى أن يتولى طه حسين منصب أستاذ آداب اللغة العربية وترشيحه لهذه الوظيفة .

وقد تم هذا بالفعل مع معافاته من الكشف الطبى .

صورة : من التحقيقات مع طه حسين بعد إهانة إسماعيل صدقي

تحقيقات ٣٢

محضـــــر :

فتح المحضر بمكتب بوزارة المعارف يوم السبت ١٩ مارس ٣٢ الساعة ١ بعد الظهر .

بمعرفتنا نحن محمد العشماوى سكرتير عام وزارة المعارف ..

بناء على تكليف معالى الوزير لنا باستجواب حضرة الدكتور طه حسين عن الحديثين اللذين نشرا له بجريدة (الجهاد) بعدديهما الصادرين فى يومى الجمعة ١٨ مارس ١٩٣٢ والسبت ١٩ مارس ١٩٣٢ .

والمتضمنين عبارات جارحة ولهيئة لحضرة صاحب المعالى وزير المعالى بصدد الإجابة التى ألقاها معاليه بمجلس النواب بخصوص موضوع نقله إلى وزارة المعارف .

وبصدد الاطلاع على صيغة الحديثين المذكورين استدعينا الدكتور طه حسين وأردنا أن نوجه إليه أسئلة تتناول العبارات التى وردت بهذا الحديث فأجاب بما يأتى :

«كتبت إلى مدير الجامعة وأخبرت حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء فى حديثى معه وأخبرنى وزير المعارف حيث لقيته بعد هذا بأنى أعتقد أن تصرف الوزير بنقلى من الجامعة خطأ يخالف ما بين الجامعة القديمة والحكومة من التعاقد الذى نص فيه على إنى أعين أستاذاً فى كلية الآداب وقد طلبت إلى الجامعة أن تتخذ الإجراء لاعادتى إلى منصبى فيها وأن تنفذ هذا ، والوزير ليس إلا إحترامى لسلطان الحكومة فحسب ، وإذن ، فلست أرى أن لوزارة المعارف

أن تحقق معى فى أى شىء وإنما الشرط لكل تحقيق أقبله راضياً هو أن أعود أستاذاً فى الجامعة وأن يحقق معى على هذا النحو وبهذه الصفة وأمام الهيئات التى تملك سؤال الأساتذة ــ والتحقيق معهم .

س : ولكن الوزير بنقلكم من الجامعة قد تصرف فى حدود سلطته وبذلك أصبحتم موظفاً بوزارة المعارف مما يجعل لها الحق فى التحقيق معكم على ماتعده خروجاً عن واجبات المرؤوس نحو رئيسه .

هذا رأى الوزير لا رأيى وأرجو ألا تكلف نفسك عناء السؤال فلن أجيب على شىء بعد إلا بالشرط الذى قدمته .

(وأمضى هذه الأقوال بالتوقيع عليها بختمه) .

السكرتير العام (توقيع) — ختم

واقفل المحضر على ذلك حيث كانت الساعة ١,٢٠ .

فتح محضر الساعة التاسعة من صباح الأحد ٢٠ مارس ١٩٣٢ وجهت فيه صيغ من أحاديث طه حسين فى الجهاد .

وفى محضر الاثنين ٢١ مارس ١٩٣٢ أرسل إلى طه حسين للحضور لكنه (فاعتذر عن الحضور ولما اتصلت به أصر على إنه لن يجيب طلب الحضور للتحقيق معه لأن موقفه من التحقيق لم يتغير وليس لديه مايضيفه على ماذكره فى المحضر الأول) .

فأرسلنا إليه كتاباً رسمياً للحضور أمامنا اليوم الساعة الحادية عشرة صباحاً لاستيفاء التحقيق فى الحديثين السابقين الإشارة إليهما ..

وقد تسلم الكتاب فعلاً وفى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الأربعين تلقينا منه الكتاب الآتى صورته :

....

(أتشرف بأن أعيد لكم ما قلته يوم السبت الماضى من إنى أعتقد إن تصرف وزير المعارف حين نقلنى من الجامعة إلى الوزارة كان خطأ مخالفاً لنص العقد بين الجامعة المصرية القديمة والحكومة وقد سجلت هذا الرأى كتابة وإثبات به حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء ووزير المعارف مشافهة حين لقيته وإذا أنا مستعد لأى تحقيق بل أنا أطلب التحقيق فى أشياء كثيرة ولكن بشرط أن يجرى هذا التحقيق أمام الهيئات الجامعية التى تملك وحدها أن تحقق مع أستاذ مثلى فى كلية الآداب) .

وحين فتح المحضر فى منتصف الساعة الثانية عشرة من ٢٢ مارس ١٩٣٢ وعرض على معالى الوزير فأثار آن يوجه إلى حضرته السؤالين التاليين :

١ ـ سلوككم هذا يناقض ما صرحتم به لمعالى وزير المعارف عند مقابلتكم لمعاليه عقب حضوركم من «إنك ستكون موظفاً أميناً وتؤدى واجبك بالأمة» .

٢ ـ أنتم تتنصلون من الإجابة بدعوى طلب التحقيق أمام الهيئات الجامعية ولكن التحقيق الذى يجرى معكم الآن لا يتناول المخالفات المنسوبة إليكم عندما كنتم عميداً لكلية الآداب وإنما يتناول ما نشر من أحاديث ومن عبارات وأنت موظف تابع لوزارةالمعارف فواجبك يحتم عليك الإجابة عن وجه ويوجه إليك من الأسئلة المتعلقة بموقفكم هذا وألا يكون سلوككم متناقضاً .

فأجاب طه حسين حين وجه إليه هذان السؤالان :

(أتشرف بأن أبلغكم أنى لم أصرح لوزير المعارف بشىء مما ورد من الفقرة الأولى من كتابكم هذا . أما الفقرة الثانية فأنا مستعد لمناقشتها أمام الهيئة الجامعية المختصة لأنى أعتقد كما أبلغتكم غير مرة مشافهة وكتابة أن تصرف الوزير معى كان خطأ) .

وقد فتح المحضر فى يوم ٢٧ مارس ٣٢ وقد وجه فيه معالى الوزير أسئلة أخرى إلى طه حسين على لسان محققين لاحراجه ، وكان رد طه حسين لم يزد ، كما تكرر فى أكثر من مرة ، إنه مستعد للإجابة عن أية أسئلة بشرط أن يتم هذا أمام الهيئات الجامعية المختصة .

مقالة : قلب مغلق

لا تغضب ، فلم أرد إلى اغضابك ، ولو قد أردت إليه لما استطعته ، ولا قدرت عليه ، فأنت رجل متئد رزين ، شديد الوقار ، عظيم الحلم ، لا يشبه حلمك بالبرد كما كان يصنع أبو تمام ، لأنه ليس حلماً حضرياً مترفاً ، وإنما يشبه بثبات الصخر واستقرار الجبال كما كان يصنع الفرزدق لا لأنه حلم بدوى ساذج كحلم قيس بن عاصم أو الأحنف بن قيس أو معاوية بن أبى سفيان ، بل لأنه حلم يأتى من هذا الحجاب الصفيق الذى ضرب بين قلبك وبين الأحداث والخطوب ، فأنت رجل قد ألقيت بينك وبين حياة الناس استار كثاف ، وعشت أنت من دون هذه الأستار مشغولاً بنفسك عن كل شيء ، ومنصرفاً إلى نفسك عن كل إنسان ، يستطيع الناس من حولك أن يرضوا ويسخطوا ، وأن يثوروا ويهدأوا ، وأن يأمنوا ويخافوا ، وأن يتجهوا إليك ليشركوك فى رضائهم وسخطهم ، وليقسموا لك حظاً من هدوئهم وثورتهم ، ولينعموا معك بالا من أن أتيح لهم الأمن ، وليستعينوا بك على الخوف أن سلط عليهم الخوف ، ولكنهم لن يبلغوا من ذلك شيئاً ، لأنهم لن يستطيعوا أن يتجاوزوا ماألقى بينك وبينهم من حجب ، ولا ماأسدل بينك وبينهم من أستار .

إنما أنت رجل محصن، لا يبلغه العدو ولا يصل إليه الصديق وأكاد أعتقد أن ليس لك عدو ولا صديق ، شغلت بنفسك حتى يئس الناس منك ، وأعرض الناس عنك ، فلم يطمع فيك منهم طامع ، ولو قد فعل لما نال منك شيئاً ، ولم يعطف عليك منهم عاطف ، ولو قد فعل لما نالك منه شيء ، والناس مع ذلك لا يرون شيئاً من هذا الحصن المؤشب الذى حصنت فيه نفسك ، ولا من هذه الحجب الصفاق التى قامت بينك وبينهم ولا من هذه الأستار الكثاف

التى ألقيت عليك من دونهم ، وإنما هم يرونك مصبحاً وممسياً ، ويلقونك غادياً ورائحاً ، يقولون لك فتسمع منهم وتقول لهم فيسمعون منك ، يجاذبونك هذه الأطراف الرثة السخيفة التى يتجاذبها الناس حين يحيون فى البيئة الواحدة ، ويخضعون للنظام الواحد ، ويشاركون فى هذا العيش الذى يعيشه المختصون فأنت قريب منهم كأشد مايكون القرب ، تمد إليهم يدك ويمدون إليك أيديهم ، ترد عليهم تحيتهم ويردون عليك تحيتك ، وأنت بعيد عنهم كأقصى مايكون البعد ، تلقاهم وكأنما تحلم بلقائهم ، ويلقونك وكأنما يلقون ظلالك مستعاراً ، بينك وبينهم أسباب مصنوعة وصلات متكلفة لا تبلغ النفس ولا تتصل بالقلب ، فهى لا تثير فى عقلك تفكيراً ولا تثير فى قلبك شعوراً لمكان هذا الحصن المؤشب الذى لا يرى ولمكان هذه الأستار والحجب الكثاف التى لا تحس ، وما أدرى ، أحاولت قط أن تعرف أم حاولوا هم قط أن يعرفوا طبيعة هذا الحصن المؤشب ومادة هذه الحجب والأستار الكثاف ، ولكن أنا قد حاولت ، وكتب لمحاولتى النجاح والتوفيق ، وأنا أكتب إليك لا علمك من أمر هذا الحصن مالم تعلم ، وأعرفك من أمر هذه الحجب والأستار مالم تعرف وما يعنينى أن تنتفع بهذا العلم أو لا تنتفع ، وإن تستفيد من هذه المعرفة أو لا تستفيد ، فلو قد أردت أن أنفعك أو أفيدك لخصصتك بهذا الكتاب من دون الناس ، ولكنك ترى إنى لم أرسله إليك ، وإنما نشرته فى المجلة لتقرأه أنت أو لا تقرأه ، وليقرأه غيرك من الناس على كل حال ، فمن حق الناس أن يعلموا أن بينك وبينهم حصناً مؤشباً وحجباً صفاقاً وأستاراً كثافاً ، وأن ينظروا لأنفسهم أيطمعون فيك وينتظرون منك الخير ، فيجب عليهم أن يحتالوا فى إقتحام هذا الحصن وإزالة هذه الحجب ، وتمزيق هذه الأستار ، أم يستيئسون منك فيجب عليهم أن يخلوا بينك وبين هذه العزلة التى اخترتها أو اختارتك وأن يمضوا فى طريقهم ويسعوا إلى غايتهم لا يشغلون أنفسهم بك كما إنك لا تشغل نفسك بهم .

●●●

فيما ينبغى أن يظل الناس من أمرك فى هذه الحيرة المتصلة يرونك واحداً منهم ويقدرون إنك متضامن معهم فى حمل أثقال الحياة والنهوض بأعبائها ، حتى إذا جد الجد ، افتقدوك فلم يجدوك وإذا أنت سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد عنده الحزن واليأس وخيبة الأمل وكذب الرجاء ، إنهم ينظرون فيرون غنى موفوراً ، ونعمة واسعة ، وعيشاً ليناً ، وثراء عريضاً ، وإنهم يسمعون فيقع فى أذانهم صوت عذب ممتلىء تشيع فيه القوة وتفيض منه الحرارة ، ويحمل إلى قلوبهم ألفاظاً حلوة واثقة شائقة ، فيها كثير من أمل ، وفيها كثير من وعد ، وفيها احياء المطمع الميت ، وإيقاظ المطموح النائم ، وأسعار بأن الناس قد خلقوا للتعاون والتضامن وليظاهر بعضهم بعضاً حين تنوب النوائب ، وليشد بعضهم أزر بعض حين تدلهم الخطوب ، ولكنهم يستقبلون من أمورهم مايظلم وما يشرق وينهضون من أعمالهم بما يخف وما يثقل ، ويلتمسونك ليستعينوا بك على تبديد الظلمة ، ويبتهجوا معك بجمال النور المشرف ويستمعتوا معك بحمل الأعباء الخفاف فى فرح ومرح ونشاط ، ويجهدوا معك يحمل الأعباء الثقال فى صبر وايد ، وحزم وثبات ، يلتمسونك فلا يجدونك أو هم يجدونك حين تشرق النعماء ، ويفقدونك حين تظلم الباساء ، أنت شريكهم فى العيش الرضى والحياة المقبلة ، وأنت أبعد الناس عنهم حين ينعمون لتشارك فى تعميمهم على أن ذلك حق لك لا ينبغى لأحد أن يردك عنه أو أن يجادلك فيه ، ولعلك تأخذ من هذا النعيم ـ أن أتيح ـ بحظ عظم من حظوظهم ولعلك تنظر إليهم وهم يأخذون بحظوظهم المتواضعة الضئيلة ، ساخطاً عليهم ضيقاً بهم ، مزدرياً لهم ، ترى إنهم واغلون يشاركون فيما لا حق لهم أن يشاركوا فيه ، ويأخذون مما لا حق لهم رداً وأن تذودهم عن هذا الصفو إن استطعت لهم زياداً ، وأنت على كل حال تنظر إليهم شزراً ، وتقيم معهم على مضض ، تستأثر من دونهم بالكثير وتحسدهم على مايتاح لهم

من القليل ، فإذا أدبرت الدنيا وأظلمت الحياة وأكتاب الأمل ، وجد الجد ، والتمس الناس المعين على مايلم بهم من شقاء وبأس ، أويت إلى حصنك هذا المؤشب ، وألقيت من دونك هذه الحجب الصفاق ، وأسدلت بينك وبين الناس من الأستار الكثاف ، ونعمت بعزلتك نعمة هادئة مطمئنة ، لا ينغصها منظر البئوس ولا يكدرها صوت الشكاة ولا يشوبها تفكير فى البائسين ، سواء منهم من احتمل البؤس صامتاً صابراً جلداً ، ومن اختمل البؤس صائحاً صاخباً شاكياً إلى الله وإلى الناس .

ماطبيعة هذا الحصن المؤشب ، وما مادة هذه الحجب والأستار وكيف السبيل إلى أن يخرجك الناس من عزلتك هذه الراضية ، لتسعد معهم إذا سعدوا ، وتشقى معهم إذا شقوا ، وتشاركهم فى إستقبال الحياة حين تشرق وحين تظلم ؟

هذه هى المسألة التى حاولت أن أجد لها حلاً ، وأتيح لمحاولتى هذه شيء من التوفيق . ان حصنك هذا المؤشب ياسيدى ، ليس إلا قلبك المقفل الذى لا ينقد إليه شعور بالتضامن أو حاجة إلى التعاون والذى لا تصل إليه رحمة حين يحتاج الناس إلى الرحمة ، ولا رفق حين يحتاج الناس إلى الرفق : ولا رثاء حين يحتاج الناس إلى رثاء ، إنه قلب قد صور من صخر مجوف تستطيع أن تودعه كل ماشئت من أمل لا حد له وطمع لا ينتهى إلى غاية ، وجشع بشع ليس له قرار ، وشهوات جامحة مصمت من جميع جوانبه ، لا ينفذ إلى داخله أيسر الضوء ولا أرق النسيم ، ولا سبيل إلى تحطيمه لأنه أقسى وأصلب من أن تبلغ منه المعاول ، فهو كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما ينفجر منه نهر يفيض على الناس برحمة أو يراد مودة أو إخاء ، ولكن قلبك لا ينشق فتخرج منه قطرة تروى ظمأ الظامىء أو تخفف من لوعة المكروب ، قد صور من صخر صلب صلد مصمت من جميع جوانبه . ولم يكفك مافطر عليه من

صلابة وصلادة وأصمات ، فوضعت عليه قفلاً لاأدرى أقصدت به إلى الاغراق فى التحفظ والاحتياط أم قصدت به إلى التانق والزينة وكيد الحسود ، فهو قفل رشيق أنيق ، تراه العين فتمتلئ النفس له أكباراً وإعظاماً ، ويمتلئ به إعجاباً ، وتنقطع الأفئدة له حسرات ، قفل من ذهب نضار ترصعه ضروب الجوهر والأحجار الكريمة النادرة ، قد صاغته لك الأيام فى كرها والليالى فى مرها ، فأنت به معجب ، وله مكبر ، وعليه حريص ، وأنت مفاخر حيناً تظهره حتى يملأ النفوس حسداً وحقداً ، وأنت به ضنين تخفيه حيناً حتى تنقطع القلوب تشوقاً إليه وتفكراً فيه ، وأنت فى داخل هذا القلب الصلب الصلد الصمت ذى الفقل الذهبى المرصع ، هادئ لاتحس اضطراب من حولك من الناس ، وادع لاتسمع اصطخاب من حولك من البائسين ، قد أغمضت عينيك فلا ترى مايسؤك ، وقد سددت أذنيك فلا تسمع مايؤذيك ، وقد ألغيت حواسك كلها أو سخرتها لهواك فلا تحمل إليك إلا ماتحب ، وأنت قد تفتح عينيك وأذنيك وترهف حسك ، فترى وكأنك لاترى ، وتسمع وكأنك لاتسمع ، وتجد غلظ الحياة وقسوتها وكأنك لا تجد شيئاً ، قد حصنت نفسك بهذا القلب الصخرى الصلب الصلد الذى لا تعمل فيه المعاول ولا ينفذ منه الضوء أو النسيم، وقد وضعت عليه هذا القفل الذهبى المرصع لتملأ القلوب الأخرى ، التى لم تصور من صخر ، وإنما صورت من لحم ودم حزناً ويأساً وحقداً وحسداً ، وأنت تنظر إلى هذه القلوب التى يحرقها الحزن وتمزقها الحسرات فى كثير جداً من التعالى والكبرياء وفى كثير جداً من الاحتقار والازدراء ، ولعلك تنعم بما ترى من الشر ، ولعلك تسعد بما ترى من البؤوس ، ولعلك تقول لنفسك حين تتحدث إلى نفسك وما أقل ماتتحدث ألف نفسك لقد صرف عنى هذا الشر وعدل عنى بهذا البؤس ، وأريد أن أحيا هذه الحياة الحلوة التى تشنق حلاوتها مما يحيط بها من مرارة ،

اللينة التى يستخلص لينها مما يحيط بها من شدة الناعمة التى يستصفى نعيمها مما يحيط بها من البأساء .

فلا نعم مادام قد كتب لى النعيم ، ولا سعد مادامت قد اتيحت لى السعادة ، وليبتئس غيرى وليشق مادام كتب على غيرى البؤس والشقاء .

●●●

حدثنى ، أليست هذه دخيلة نفسك حين تخلو إليها ، أن خلوت إليها ، وحين تشغل عنها بما تستمتع به من لذة تجمع من ثروة وبما تحقق من فوز ؟

أليست هذه دخيلة نفسك التى لاتتحرج من أن تصارح بها حين يجرى الحديث بينك وبين نظراتك ، عما يملأ الأرض من بؤس وبغض وشقاء ؟ بلى هذه دخيلة نفسك تخفيها كثيراً وتظهرها قليلاً وتشعل إلا عنها بلذتك وثروتك فى أكثر الأحيان ولكن أنظر ، إنك ترى فى الأرض أنهاراً تجرى وينابيع تفيض ، وإنك تستغل هذه الأنهار الجارية هذه الينابيع المتدفقة لتمعن فى لذاتك وتزيد إلى ثرائك ثراء ، فهل علمت كيف تفجرت هذه الأنهار ؟ وهل علمت كيف انشقت الأرض عن هذه الينابيع ؟ وهل علمت أن قلبكّ ، مهما يكن حظه من الصلابة والصلادة ومن الأصمات والقسوة ، لن يستطيع أن يقاوم الأحداث ، ولا أن يثبت للخطوب ، ولا أن يحتفظ بهذا القفل الذهبى المرصع الذى علقته أو علقته لك الأيام عليه؟

●●

إن الحوادث والخطوب تعبث بالقلوب مهما تكن قسوتها ومهماً تكن إقفالها ، وإن ساعة من الدهر تأتى على هذه القلوب الصلبة الصلدة المصمتة القاسية فتذيبها ، أو تحيلها هباء تذروه الرياح أنظر والأثم ، ومن ضروب الطمع والمجتمع ومن خصال الأثرة والبخل ، مالا يحصى ولا يوصف ، ثم أنت

عليها هذه الساعة من ساعات الدهر فذهبت بها وبأصحابها ، وهذه الساعة آتية عليك وعلى قلبك فذاهبة بك ويقلبك إلى حيث يذهب الناس ثم لا يرجعون .

صدقني أن من الخير لك ولمن حولك من الناس أن تحدث في قلبك هذا الصمت المقفل صدعاً يسيراً ينفذ منه الضوء ليبدد بعض ما فيه من ظلمة ، وينفذ منه النسيم ليطفيء بعض ما فيه من لظى وصدقني إن من الخير الكثير لك ولغيرك من الناس أن تدير مفتاحك الذهبي في قفلك هذا المرصع ، وأن تفتح قلبك ولو قليلاً ليصل إليه بعض ما في هذا العالم مما يثير الرحمة ، ويشيع الرفق ، ويعطف بعض الناس على بعض .

●●●

صدقني إن من الخير الكثير لك ولغيرك أن تصدع قلبك قبل أن تصدعه الأحداث ، وأن تفتح قلبك قبل أن تفتحه الخطوب ، وأن تشعر من حولك من الناس بإنك تجد بعض ما يجدون ، وتعتقد مثل ما يعتقدون ، إنك مثلهم قد خلقت من تراب وستعود إلى التراب ، وإن الذين يستوون قبل أن يدخلوا الحياة ويستوون بعد أن يخرجوا من الحياة ليسوا في حاجة إلى أن يتمايز بعضهم من بعض ، ويبغي بعضهم على بعض ، في هذه الطريقة القصيرة التي يسلكونها بين المهود واللحود .

هوامش الكتاب

أولاً : طه حسين

(١) Berque, J. Taha Hussien, Au dela Du nil, Galhimard, 1977.

(٢) هذا مذهبي (بالاشتراك) طه حسين ، القاهرة ، الهلال ، بدون

(٣) الأيام ، طه حسين ، دار المعارف ، ج٢ ، ١٩٧٧ .

(٤) Teymour, M. Taha Hussien. Reveue du Caire. 31, 1953, PP 127 - 133

(٥) - Raoul, M. La Jeunesse intellectuelle d'Egypt au Len demain de la Deuxieme Cuerre Mndial Paris 1960

(٦) مصطفى عبدالغنى، طه حسين والسياسة ، دار المستقبل العربى ١٩٨٧ .

كانت فى الأصل رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، بعنوان (طه حسين ودوره فى السياسة المصرية) .

(٧) الإستقلال ١٩٢١/١١/١٠

(٨) رقم ٦

(٩) مذكرات سعد زغلول (غير منشورة) ، وقد استعنا بالكراسة التى تحمل رقم ٤٧ فى صفحة ٢٧٧

(١٠) رقم ٦

(١١) الجهاد ١٩٣٢/٣/١٨

(١٢) الجهاد ١٩٣٢/٣/١٩

(١٣) دار المحفوظات العمومية بالقلعة ، محفظة رقم ٤٢/١٢/١١١/١٤٠ ملف (طه حسين) فى جزئين) ، أيضا رقم (٩)

(١٤) محمد حسين هيكل ، مذكرات ، دار المعارف ، ج٢ /

(١٥) الأهرام

(١٦) مجلة الهلال ، ١٩٤٧/٢ ص ٤٥

ثانياً : طه حسين ضد طه حسين

(١) توفيق الحكيم ، وثائق من كواليس الأدباء ، كتاب اليوم ، القاهرة ١٩٧٧
(٢) أنور الجندى ، الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية ، القاهرة ١٩٦٢ .
(٣) مجلة الفجر الجديد ١٩٤٥
(٤) رقم (٣)
(٥) مذكرات إبراهيم عبد الهادى ١٩٨٢/١١/١ بصباح الخير
(٦) طه حسين والسياسة ، السابق .
(٧) إبراهيم فرج ، ذكرياتى السياسية ، دار المأمون ، ط١ /١٩٨٣
(٨) محمود مراد ، الحكيم ووعيه العائد ، بدون
(٩) محمد الدسوقى ، طه حسين يتحدث عن أعلام عصره ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ط١٩٨٢/٣
(١٠) رقم ٨
(١١) Berque, J. Ibid
(١٢) رقم ١٠
(١٣) Copeland, M. The game of Nations, london, 1969.
(١٤) Safrain, N, Egypt in serach of political community Combridge (vass) 1961
(١٥) سامى الكيالى ، مع طه حسين ، دار المعارف ١٩٦٨.ج ٢
(١٦) روز اليوسف ١٨ مايو ١٩٥٣
(١٧) الوادى ١٩٥٢/١١/٢١
(١٨) الأهرام ١٩٥٢/٨/٢
(١٩) الوادى ١٩٥٢/١٢/١٩
(٢٠) روز اليوسف ١٩٥٢/١٢/٢٢
(٢١) الكتاب ، يناير ١٩٥٣
(٢٢) المصرى ١٩٥٣/١/٣١
(٢٣) الجمهورية ١٩٥٤/٧/١٤
(٢٤) الجمهورية ١٩٥٤/٨/٨
(٢٥) الجمهورية ١٩٥٤/٧/١٤
(٢٦) الجمهورية ١٩٦٢/٨/٩

(٢٧) الجمهورية ١٩٥٤/١٠/٣٠
(٢٨) الجمهورية ١١ ، ١٩٥٤/١٤/١٣ ، أيضاً : كتاب (هؤلاء هم الأخوان)، بدون، ص ١٢
(٢٩) لقاء مع حسن يوسف رئيس الديوان الملكى السابق فى ٧/٤/ ١٩٨٤ ، وهو مايكرر فى عديد من صفحات محكمة الشعب .
(٣٠) روز اليوسف ١٩٥٤/٣/٢٩
(٣١) الجمهورية ٣/١١، ٤/٥، ١٩٥٦/٧/١٣، ١٩٥٤/١٠/١
(٣٢) محضر نقاش مع أحمد سعيد فى ١٩٨٧/١/١٢
(٣٣) الأهرام ١١/ فبراير ١٩٧٨
(٣٤) الأهرام ٢٥ فبراير ١٩٨٧

(★) يمكن العثور على «نمط الانتاج الأسيوى فى كثير من أدبيات الغرب ، وعلى سبيل المثال ، انظر :
Ernest Hoffman, les Formation Socio- économiques et la science historoique, Recherches Internationales, No 57 - 58.

(**)
وهوفمان ، يرى أن هذه المرحلة أتت بعد المجتمع المشاعى «بين النهرين ومصر والهند لأول مرة فى النصف الثانى للألف الرابع قبل الميلاد» فتصبح مصر الفرعونية فى مرحلة من مراحلها ، صاحبة سلطة سائدة خاضعة لظروف «المكان» وطرح النهر فى ديمومة الزمن .

صدر للمؤلف

(١) مؤرخو الجزيرة العربية فى العصر الحديث	: دار الموقف العربى ١٩٨٠
(٢) المؤثرات الفكرية فى الثورة العرابية	الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٤
(٣) شهر زاد فى الفكر العربى الحديث	: دار الشروق ١٩٨٤
(٤) الوداع/ ترجمة آخر إشعار أراجون عن اللغة الفرنسية	: الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥
(٥) الحصار / مسرح شعرى	: الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥
(٦) الشرقاوى متمردا / الدلالة الذاتية والإجتماعية	: دار التعاون ١٩٨٦
(٧) فى دائرة النقد / دراسة نقدية	: المركز القومى للفنون التشكيلية ١٩٨٦
(٨) طه حسين والسياسة/ رسالة ماجستير	: دار المستقبل العربى ١٩٨٦
(٩) المسرح المصرى فى السبعينات/ الجزء الأول	: الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧
(١٠) مسرح الثمانينات / الجزء الثانى	: دار الف للنشر ١٩٨٧
(١١) تحولات طه حسين	: الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٩
(١٢) طه حسين وثورة يوليو	: مكتبة التراث الإسلامى ١٩٨٩

تحت الطبع :

- الأدب السعودى المعاصر
- إعترافات عبد الرحمن الشرقاوى
- البنية الشعرية عند فاروق شوشة
- المتمرد / دراسة فى فكر توفيق دياب
- الجبرتى والفكر الغربى الحديث
- المثقفون وعبد الناصر (دكتوراه)
- نجيب محفوظ / الحلم والواقع
- مشكلات فى الفكر العربى الحديث

فهرس الكتاب

مقدمة ٣

أولاً : طه حسين (قبل ثورة ١٩٥٢) ٧

- طه حسين متمرداً !! ٩
- طه حسين وسعد زغلول ١٢
- طه حسين وإسماعيل صدقي ١٦
- طه حسين والقصر ٢١

ثانياً : طه حسين ضد طه حسين ٣١

- من التمرد إلى التأييد ٣٣
- فقدان الوعي ٣٤
- من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ٣٥
- صاحب الفكر الراديكالي ٣٨
- بين الوفد وثورة يوليو ٤١
- الثورة واحتواء المثقفين ٤٣
- قانون تطوير الأزهر ٤٦
- التأييد التام للثورة ٤٨
- الأدب .. لا الثورة ٥٤
- ضد الاخوان المسلمين ٥٥
- فتى السوربون الليبرالي ٥٧
- انقلب على الملك بعد أن كان مؤيداً له ٦٠
- طه حسين والقوى الأجنبية ٦٤
- حلف بغداد ٦٦
- عود على بدء ٧٠
- وثائق ٧٣
- هوامش ٨٩
- فهرس ٩٣

صدر حديثاً

المؤامرة على الكعبة
من القرامطة إلى الخميني

تاريخ ووثائق

الدكتور عبد المنعم النمر

مكتبة التراث الإسلامي

ت : ٣٩١١٣٩٧ ـ ٣٩٢٥٦٧٧ ـ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

صدر حديثاً

الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية

دراسة مقارنة

دكتور توفيق الطويل

أستاذ الفلسفة بآداب القاهرة

مكتبة التراث الإسلامي

ت : ٣٩١١٣٩٧ ـ ٣٩٢٥٦٧٧ ـ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

صدر حديثاً

علامات القيامة الكبرى

من بعثة النبي ﷺ حتى نزول عيسى عليه السلام

عبد الله حجاج

مكتبة التراث الإسلامي

ت : ٣٩١١٣٩٧ ـ ٣٩٢٥٦٧٧ ـ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

رقم الإيداع : ٨٦١٩ / ١٩٨٩

طبع بمطبعة دار نوبار للطباعة

صدر حديثاً

هؤلاء في النار

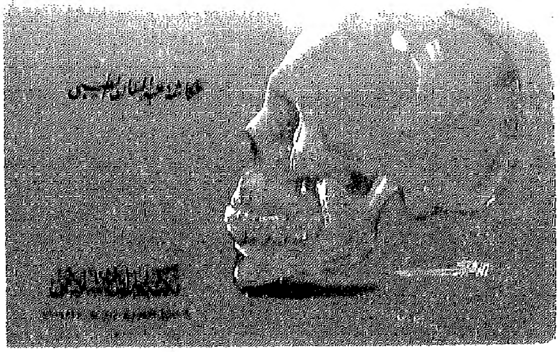

مكتبة التراث الإسلامي

ت : ٣٩١١٣٩٧ ٣٩٢٥٦٧٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

2740